الدَّلائِلُ النَّبَوِيَّة

المُعَبِّرَةُ عَنْ شَرَفِ

المدرسةِ الأبويَّة

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

الدَّلَائِلُ النَّبَوِيَّةُ

اسم الكتاب: الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية
اسم المؤلف: أبوبكر بن علي بن أبي بكر المشهور
الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

عدد الصفحات: ١٢٠ صفحة
قياس القطع: ١٥ × ٢١ سم

بريد المؤلف info@goraba.net

الغلاف الأمامي
الصورة في المنتصف هي غلاف الطبعة الأولى

الغلاف الخلفي
عبارة للمؤلف منقولة من هذا الكتاب ص٣٥

الناشر

مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث

الجمهورية اليمنية - عدن ٢٥١٠٨٩ ٩٦٧٢+

ص.ب.: ٧٠٠١٤
algathwa@goraba.net
cc: ahmadalkaff@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

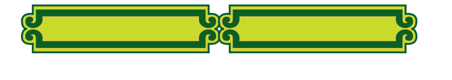


﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ
وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ
نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن
قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ
وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ
وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ
وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ
ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ
وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ
وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى
ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا
ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ

[الأنعام: ٨٢-٩٠]





شاهد الحال

قـالَ صَلّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وآلـِهِ وسَـلَّمَ: « كُــلُّ مَـوْلُـودٍ يُولَـدُ عَـلىٰ الفِطْـرَةِ، فَأَبَـواهُ يُهَوِّدانِـهِ أَوْ يُنَصِّرانِـهِ أَوْ يُمَجِّسانِهِ » .

أخرجَه ابنُ حِبّانَ في «صحيحه»

وقالَ أَيْضاً: « مـا نَـحَلَ والِـدٌ وَلَـداً أَفْـضَـلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ » .

أخرجَه التِّرْمِذيّ



الإهداء

إِلىٰ آبائِنا الكِرامِ سَادَةِ المَدْرَسَةِ الأَبَوِيَّةِ المُسْنَدَةِ، وجَزاهُمُ ٱللهُ عَنّا خَيْرَ الجَزاءِ..

وإِلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ يَشْعُرُ بالحَيرَةِ والإِحْباطِ مِنْ سُوءِ التَّرْبِيَةِ في مَرْحَلَتِنا المُعاصِرَةِ..

وإِلىٰ المَخْدُوعِينَ مِنْ حَمَلَةِ المُسْتَوَياتِ عَلىٰ غَيْرِ ٱنْتِماءٍ أَبَوِيٍّ..

وإِلىٰ الأُمَّهاتِ الصّالحاتِ أَوْعِيَةِ التَّرْبِيَةِ الأَبَوِيَّةِ..

وإِلىٰ بَناتِنا المُسْلِماتِ الرّاغِباتِ في عِلْمِ الكِتابِ والسُّنَّةِ الأَبَوِيِّ المُسْنَدِ..

ثُمَّ إِلىٰ سُقُوفِ المَعْرِفَةِ الهَشَّةِ المُعْتَزِّينَ بِالإِثْمِ..

لِلْإِحاطَةِ والْإِبلاغِ..

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾

المؤلف



المدخل



ونحمده سبحانه على ما أولانا من حسن الصِّلة بالصالحين، وربط الأواخر بالأوائل على ثوابت دعوة سيد المرسلين، سيدنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين .

وبعدُ فإننا نسأله تعالى أن يمكّن عرى الإيمان في قلوبنا جميعا، ويمنحنا الثبات وحسن النظر فيما يرضيه عنا، فالمطلب الأسنى رضاء المولى وحسن الانطواء في دعوة المعلم الأكرم، الدعوة التي وصلت إلى شيوخنا وعلمائنا بسند الاتصال القوي كابرا عن كابر، وإماما عن إمام، إلى سيد الأئمة عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وحاجتنا اليوم إلى هذه الدعوة النقية الصافية أهم من حاجتنا للماء والطعام، إذ تهيأت ماديات الحياة وملاذها بكل لون وصفة وحال ؛ ولكنا افتقدنا طريق الصلة النقية بسيد الأمة عليه أفضل الصلاة والسلام .

والافتقاد بهذه الصلة كان ثمرة ما حل بالأمة عموما وبالطريق خصوصا من

ضغوط ومحاربة ؛ ولكن الله قد ضمن لعباده الصالحين الحفظ والرعاية، فكان الأمر على مراد الله بارزا وظاهرا، ومنه اقتبسنا نور الصلة بالسلف، ووجدنا أنفسنا في نعمة من الله وشرف، فأخذنا على عاتقنا بتوجيه أشياخنا أن نحيي ما اندثر من ثوابت الطريق، ونشعل فتيل إنارة القلوب ببركة سر خيار الفريق .

أئمة الدين أهل الفضل والأدب   مـن كل حبر إمام زاكي النسـب
آل النبـي سراة القـوم قدوتنـا   سفن النجاة إذا ما شئت فاقترب
وخض بحار الهدى والشرع في نهم   تحيا على شـمم من شامخ الرتب
ما فـاز بالعيـش إلا مـن أحبهم   دينـا ودنيا مع الأعـمال والقرب

وليس لنا في هذا الأمر غير تقليب الأرض الخاشعة، وتبويب العبارات النافعة، وتحديث الأسلوب، ليصل السر إلى الجيل المعاصر بلغة الزمان الجامعة، والله أسال أن يلهمني الصواب ويجعل عملي خالصا لوجهه الكريم آمين .

ماذا تعني المدرسة الأبوية ؟

لاشك أن مفهوم «الأبوية» في الشريعة الإسلامية له مدلول عظيم يبدأ بالوالدين وبرهما، ويتدرج إلى الأرحام والجيران وما تلا ذلك من السلم الاجتماعي المألوف ؛ ولكنها في مسألة الانتماء المعرفي المسند تذهب إلى أبعد من ذلك، كما هو في ارتباط أمة الإسلام بعمومها بأبي الحنيفية الأول إبراهيم عليه السلام ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج:٧٨].

فالاتصال المسند للعلم الأبوي يتسلسل عبر الأنبياء إلى إبراهيم عليه السلام، ونحن أمة الإسلام نتصل بإبراهيم عن طريق نبينا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم شهيدا علينا وناطقا بالحجة الأبوية، ونحن حَمَلَة العلم الأبوي المسند المتسلسل شهداء على الناس، وبهذا تكتمل الحلقة الأبوية الشرعية .

وبالنسبة لواقع التعليم والتلقي فالمقصود بـ«الأبوية» مدرسة الإسناد والأسانيد التي تربط بين المادة المقروءة والمعلم من جهة، وبينهما والطالب من جهة أخرى، والأبوية هي هوية العلاقة بين الإنسان والمعرفة، فهناك معارف

مبتورة لا يجد المرء منها أثرا معنويا يزداد به معرفة بالله أو خشية منه أو نفعا أو إيجابا يعود عائده إليه بصفة مشروعة. وتقابلها مجموعة المعارف التي يستشعر المتعلم لها أنه يترقى علما نافعا ويترقى ثوابا عند الله. سواء كان بنوع المادة ذاتها كالقرآن والسنة وما تفرع عنهما أو بالنية الصالحة فيها كالنية المتوفرة في طلب علم الخدمات والعلوم النظرية.

وخصوصية منهج المدرسة الأبوية أنه يبدأ بمسائل التعبد والسلوك في أدب التنشئة، وفيها يقول المعلم الأول صلى الله عليه وآله وسلم: «**مُرُوا أَوْلادَكُمْ بالصَّلاةِ وهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وٱضْرِبُوهُمْ عَلَيْها وهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في المَضَاجِعِ**»[1].

ويقول: «**ما نَحَلَ والِدٌ وَلَداً أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**»[2]، والأدب الحسن هو سمة العلم الأبوي ووظيفته في أَتْبَاعه.

وهنا تبرز خطورة الضد والتعليم المنهجي المسيس «العلم المقبوض»، والعلم المقبوض هو التعليم الممنهج الحاوي على الحذف والإضافة وفق الظرف السياسي والأفق الاجتماعي المسيس، وهذه كانت سمة مناهج دول الاستعمار ومن دار في فَلَكها.

ولم تُمْنَ الأمةُ الإسلامية في تاريخها بشيء مثلما مُنِيَتْ بانقطاع دور المدرسة

(١) سنن أبي داود.
(٢) أخرجه الترمذي.

الأبوية في الحياة العلمية والتربوية في الواقع العربي والإسلامي الرسمي منذ الغزو الاستعماري المسيس .

لقد كان ذلك التوقف حَدَثاً ومنعطفاً خطيراً في تاريخ التربية الأبوية والدعوة الإسلامية، كما كانت منفذاً خطيراً لهيمنة التعليم الخدماتي في بلاد المسلمين .

لقد كان الغزو الاستعماري منصبا على إفساد أسلوب المدرسة الأبوية في التربية والتعليم، كما حرص على إدخال العديد من وسائل الإفساد في صفوف المدرسة الحديثة، كتخفيف حصص المواد الشرعية، والجمع بين الجنسين، والتحرر من مظاهر اللباس التقليدي، والفصل بين التربية والتعليم في كافة مناهج المدارس، وترجيح القسم العلمي على الأدبي بفارق مثير، وإيجاد المدرس المادي المنفصم أدبيا عن الطالب والمتعلم، وإشغال الفتاة بنفس المنهج التعليمي للفتى دون تمييز يذكر، والزج بالفتاة في كافة شؤون المعرفة، وإشغالها بالرياضة والتمثيل والغناء والفنون وغيرها، مما لا تحتاج إليه أدبيا، بل ربما كان أثره عليها سلبيا للغاية.

وفي مراحل لاحقة مع بروز المنهج الإلحادي أحدث الإغراب التعليمي شرخا خطيرا في العملية التعليمية كلها، وكادت المدرسة الأبوية أن تزول تماما من واقع الحياة الاجتماعية في كثير من مناطق البلاد، ما عدا بقية محدودة اعتنى بها بعض الصالحين بصفة خاصة ومحدودة.

حاجة المجتمع الإسلامي للمدرسة الأبوية

كان بروز المدرسة الأبوية مرافقا للدعوة الأولى بمكة والمدينة، وكان أساس المدرسة مواقفها، وهذه المواقف نموذج من نماذج العمل بسنة الخلفاء الواردة في الحديث « عَلَيْكُمْ بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْها بالنَّوَاجِذِ .. إلخ الحديث »[١].

والخلفاء هنا يراد بهم في أحد المعاني للحديث حملة المنهج الأبوي في كافة المراحل حتى قيام الساعة، وليس المقصود بالخلفاء هنا خلفاء الحكم وحده، فالتسلسل الأبوي للعلم إنما يأتي من خلال الأخذ عن الخلفاء الورّاث والورّاث للخلافة.. سمة العلماء الحاملين شرفَ السند المتصل، ومن علاماتهم الرُّشْدُ والهداية « الرّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ »، وهذه لا علاقة لها بخلافة الحكم، وخاصة بعد بروز الملك العضوض داخل الحظيرة الإسلامية، والمؤكد لهذا المنحى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ » فليس هناك سنة للنبي وسنة أخرى لخلفائه .

(١) صحيح ابن حبان .

وليس المقصود بالسنة ما أثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو دلالة فقط، فهنا يحمل الحديث معنى أشمل من سنة النقل والفعل إلى سنة المواقف، حيث إن الخلفاء الأربعة وهم أساس فهم مدلول الخلافة ليست لهم سنة مستقلة عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ولكن لا شك أن لهم مواقف أو طرائق اقتبسوها من السنة أو من ملازمة صاحبها، فصار الموقف يحمل معنى السنة، أي: الطريقة والأسلوب، وبهذا يتسع معنى الخلافة ليشمل رجال العلم والولاية والتقى أهل الأسانيد المرتبطة بالتسلسل والأخذ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعلى سبيل المثال نجد أن الامام الحسن بن علي رضي الله عنه اتخذ في الفتنة موقفا حسم به مادة الصراع وقبل التنازل عن موقع الحكم، مع أن النص الشرعي والإجماع المعتبر يخول له خوض معركة الفصل بين الفريقين، وهو صاحب الحق وخليفته، فاتخذ موقفا يقتدى به قال فيه جده صلى الله عليه وآله وسلم : «إِنَّ ٱبنِـي هـٰذا سَيِّدٌ، ولَعَلَّ ٱللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»،[1] وفي الحديث دلالة واضحة للموقف الذاتي من الإمام الحسن رضي الله عنه.

وعند تحليلنا لمدلول الخلافة هنا سنجد أن كلا الفريقين نسبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى فئة من المسلمين؛ ولكن المواقف مختلفة تماما، فالفصل المعتبر لمدلول الخلافة ليس مجرد الارتباط والأخذ عن رسول الله صلى الله

(١) أخرجه البخاري.

عليه وآله وسلم؛ ولكن الموقف المعرّف في الحديث بـ «**الرّاشِدِينَ**» من الرشد «**المَهْدِيِّينَ**» من الهداية وسمو الأخلاق والترفع عن الدنيا وطموحاتها «**عَضُّوا عَلَيْها بالنَّوَاجِذِ**».

فانحسم الخلاف هنا بهذا التعريف الشرعي ..

وتعاقبت الأجيال بعد الأجيال على معرفة مدلول الخلافة بمعنى الوراثة العلمية والعملية المرتبطة بقواعد الشريعة ومواقف المشرع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ولها معنى آخر تنطوي فيه رجالات القرار الحاكمة كشكل صوري لمفهوم الخلافة، أو بمعنى أدق اقتباس المفهوم العام للخلافة من الموقع السياسي، وليس المعنى الفعلي للخلافة الراشدة، اللهم إذا استثنينا من هذا المفهوم الخلفاء الخمسة الذين أجمعت غالب الأمة على حملهم مدلول الرشاد والهداية إلى جانب القرار الحاكم، وأما غيرهم فلا .

ومن هذا المنطلق ندرك أهمية مسمى المدرسة الأبوية ذات الارتباط العلمي والتربوي بالرشاد والهداية المشار إليها في الحديث .

وللحديث أيضا شاهد قرآني يفصل بين علم المدرسة الأبوية المسندة وعلم المدرسة غير المسندة ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩]. والآية تحمل قاعدة علم الصدور الذي يتلقاه العلماء عن العلماء.. وليس كل العلماء، بل هم العلماء الموهوبون الذين وصفتهم الآية

﴿أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾، ولم تقل: طلبوه وأخذوه بالنقل والقراءة فقط .

وهذا النوع من العلم يكاد أن يكون في عصرنا معدوماً بانعدام أهله في المحيط العام، وانعدامهم كان بفعل فاعل وإعمال فكرة وإحلال بدائل، وبقي لنا في واقع الحياة العلمية نماذج أخرى وصفها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه عن آخر الزمان، كعلماء القبض وعلماء النقض وعلماء القصعة وعلماء السلطان ورؤساء الفتوى وحدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يبيع أحدهم دينه بعَرَضٍ من الدنيا قليل .

وأساس علم الصدور الذي كان منتشرا في هذه الأمة هو تقوى الله ومراقبته والخوف منه، ويبدأ تعليمه والاستفادة منه داخل البيت وعلى يد الآباء والأمهات، ويكتمل على يد الشيخ والمربي والفقيه الذي يَعْلَمُ الأبُ توجُّهَه ومنهجَه وأساسَ علمه وفقه، فيسلمه ولده وهو على غاية الاطمئنان، ويتخرج الابن داعيا فقيها بارا بوالديه متأدبا مع معلميه ورجال بلده وأهل عصره، يأخذ الحكمة من حيث وجدها، يسهم في بناء ذاته وأمته من غير إفراط ولا تفريط، يحترم المذهبية الإسلامية ويدعو بقوله وفعله إلى الله ورسوله .

وهذا النموذج المثالي ظل قائما في الأوطان الإسلامية حتى عشية سقوط قرار الخلافة الإسلامية ودخول العالم إلى مرحلة الاستعمار الحديث .

بقاء واستمرار المدرسة الأبوية مهمة الشعوب

المدرسة الأبوية هي مدرسة الشعوب، والشعوب هم أساس المجتمع، وبمقدار يقظة الشعوب من داخلها تستمر المدرسة الأبوية على العطاء والاستمرار، مهما استطالت الأيدي الأخرى أو تغلغلت في الواقع لنقضه .

والأجيال الواعدة جزء من الشعوب، وعشرات العمال في مؤسسات المدرسة الحديثة جزء من الشعوب، وبهؤلاء المتضافرين على استمرار نور الله في أنفسهم وأولادهم ومجتمعاتهم يظل التعليم الأبوي ناصع التأثير، مستمر العطاء والتنوير، وقد رسمت لنا المرحلة القريبة في بعض بلاد العالم الإسلامي صورة حية ليقظة الشعوب ومحافظتها على تعليمها الأبوي، فالمعلوم أن الاتحاد السوفيتي كان يعلن الحرب على الإسلام كعقيدة ؛ ولكنه كان يتحالف مع بعض دول المسلمين كشعوب ويتقاسم المصالح مع أصابع الحركة فيه، وظلت مرحلة الشيوعية تحارب مظاهر العلم والتعليم الأبوي الشرعي مدة هيمنتها على المقاطعات الإسلامية، ومع ذلك فإن شعوب تلك المقاطعات وهم حملة العلم والشرع الأبوي المتصل بمدرسة الإسلام وبقرار عصر الخلافة عملوا على تدريس القرآن والسنة وعلوم الفقه واللغة وغيرها بأسلوب شعبي هادئ تحت

الأنفاق والأقبية، بل بلغ بعقليات علماء تلك المرحلة أن هيؤوا مدارس العلم الأبوي تحت الأرض وجعلوا فوقها بارات الخمر والمشروبات المسكرة بحيث يُمَوَّهُ الأمر على عيون الأنظمة، ونجحت الفكرة تماما، وما أن سُحب البساط من النظام الشيوعي وسقطت أسطورة الإفك المركب حتى برز الإسلام من جديد من داخل الشعب الصامد، ورأى العالم كله كيف تحافظ الشعوب على عقيدتها ودينها تحت أي ظرف أو أزمة .

وبمثل هذا الأسلوب حدث ذلك في أرض اليمن وحضرموت إبان مرحلة الحكم الإلحادي مع فارق في الأسلوب والمعالجة، فالحكم الإلحادي المهيمن على أوضاع التعليم حاصر المدرسة الأبوية بحضرموت وعدن وغيرها من بلاد اليمن آنذاك، وبلغ الأمر ذروته عندما هيجت فصائل النظام عوام الأمة لتطبيق سياسة الانتفاضة، مما أودى بحياة العشرات من رجال المدرسة الأبوية قتلا أو خطفا أو سجنا، وضعف دور المدرسة الأبوية ضعفا شاملا، ولم يبق على ساحة الحركة غير المدرسة الرسمية الممثلة للنظام .

ولكن رجال التعليم الأبوي المحاصر استطاعوا أن يحافظوا على الحد الأدنى من التعليم على صفة دروسٍ علمية شرعية ومدارسةٍ لمبادئ اللغة وعلوم الشريعة في بعض المنازل والمساجد بصفة لا تثير انفعال القائمين على الأمور .

كما حافظت بعض مناطق أخرى في أرض اليمن على نفس النمط الأبوي الموجود بحضرموت، كما هو الحال في البيضاء ممثلة برباط العلوم الشرعية،

وكان لهذا الصرح العلمي والأدبي الدور الفاعل في أحلك ظروف المرحلة، حيث برز أثره في المنطقة ذاتها، وتوجه إليه العديد من أبناء الوطن لطلب العلم على الطريقة الأبوية، وبمجرد أن انتهى دور المرحلة الإلحادية برز هولاء الطلاب لنشر الدعوة إلى الله على النمط الأبوي، مما أسهم في إيجاد التوازن النسبي أمام مدارس دعوية أخرى كان لها دور تسييس خطير في استمرارية المحاصرة للمدرسة الأبوية ورجالها في مرحلة الصحوة .

وهكذا نجد أن دور الشعوب في المحافظة على ثوابت المدرسة الأبوية في حدها الأعلى عند الإمكان أو الأدنى عند التحول والتغير هو الموقف الثابت والمفيد للأمة في مثل هذه الظروف ، وقد أشار الحديث النبوي إلى هذه الظاهرة في آخر الزمان «لَتُنْقَضَنَّ عُرَىٰ الإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، كُلَّما نُقِضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النّاسُ بِالَّتِي تَلِيها»[1] فقوله: «كُلَّما نُقِضَتْ عُرْوَةٌ» يشير إلى انتقاض أمر المدرسة الأبوية «تَمَسَّكَ النَّاسُ» أي: عموم الخلق «بِالَّتِي تَلِيها» أي: بما يحافظ على نمط المدرسة الأبوية في نمطها الأبوي لتفيد الواقع .

والمدرسة الأبوية هي الأمانة بعينها على مراد الله ومراد رسوله في خلفائه الوراث.. من سماهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل هذا الدين، وأما غير أهله فهم الموصوفون بالقبض والنقض، الذين قال فيهم الحديث: «فإذا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السّاعَةَ»، قال: كيف إضاعتها ؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلىٰ

(١) صحيح ابن حبان .

غَيْرِ أَهْلِهِ فَٱنْتَظِرِ السّاعَةَ»[1].

وتزاد ضرورة الاهتمام الشعبي بالمدرسة الأبوية مع مرحلتنا المعاصرة لما شابها من صنوف النقض المسيس في كافة مجالات التربية والتعليم والثقافة والإعلام والدين والتدين، ولما يلاحظ أيضا في عموم العالم العربي والإسلامي من الصراع المفتعل داخل الحظيرة الإسلامية وبوسائل الكتاب والسنة الواقعة تحت سياسة التطبيع والتطويع، والانتقائية في الأحكام والاستدلال الشرعي.

إن من سلبيات المرحلة على المدرسة الأبوية أن الكثير من شرائح القبض والنقض لا يحاربون الإسلام ولا العقيدة ولا القرآن ولا السنة، وإنما هم يحاربون المدرسة الأبوية، أي: علماء الملة الأثبات (آل البيت، المذهبية، الصوفية)، وبهذه الحيلة اعتقد الغالبية من المسلمين أن عداءهم هذا هو حرص على الدين والكتاب والسنة وهروب من الشرك والبدعة، والأمر ليس كذلك ولكن الأمر يلزمنا الرجوع إلى الأحاديث الشريفة التي هي مرجع الأمة كلها، لنرى أن هذا الانفصام الغريب في تاريخ الإسلام الحديث إنما هو نقض وقبض وتحول لصالح المسيخ الدجال، وكثير من هؤلاء يعلمون ومنهم لا يعلمون ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم:٧] ، ومن هذا المنطلق الخطير صار الإسلام يناشدنا على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخطب عن الدجال «**يا عِبادَ ٱللهِ ٱثْبُتُوا.. يا عِبادَ ٱللهِ ٱثْبُتُوا.. يا عِبادَ**

(١) صحيح البخاري .

ٱللهِ ٱثۡـبُـتُوا..»[1].. اللهم ثبتنا على دينك.. ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[إبراهيم:٢٧].

(١) سنن ابن ماجه .

لماذا المدرسة الأبوية ؟

إذا كان هناك في محيط الحياة من عرف ربه ونهج طريق السلامة من خلال مدرسة ما، فنحن وإياه على كلمة سواء ؛ لأننا لا نعترض على الأفراد في توجههم إلى الله خلف أي مدرسة ذات ارتباط بالأبوية الشرعية ؛ ولكنا نحجم شأن التكتلات ذات القبض والنقض والتسييس البدعي داخل أمة القرآن والسنة.

ثم إننا لا ندعي أننا وحدنا نحمل طريق السلامة بدعوتنا الأبوية، وأن النجاة منوطة بهذه الطريق وحدها ؛ ولكنا نرى من خلال تجربتنا التربوية والتعليمية ودراستنا المتواضعة ومعاناتنا المحدودة أن غالبية جيل المرحلة يعيش حالة إحباط وخلط وخبط وأغلاط، وقد قرأنا في كتاب الله وسنة رسوله ما يؤكد حصول انحرافات في مسار الأمة وغثائية في العلم والعمل والعلاقة، وصار لدينا يقين تام بضرورة البحث عن مخرج للسائل والراغب، والحديث يشير « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ »[1]، فأحببنا الخير بعد أن

(١) صحيح البخاري .

عرفناه من طريق المدرسة الأبوية، وبها تعلمنا قيمة الحياة وقيمة ما بعد المات، وبها عرفنا أنفسنا وعرفنا شرف اللحظة والساعة واليوم والأسبوع والشهر والفصل والعام.

﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨].

المستجدات السلبية في طريق المدرسة الأبوية

مر زمن طويل والعالم العربي والإسلامي يخرج المئات من رعيل الشباب والفتيان على نمط التعليم الحديث وأبنية المدرسة الجديدة.

والمدرسة الحديثة لا غبار على نفعها الشامل في حياة الأمة المعاصرة، وآثارها الإيجابية في تثقيف العشرات أو المئات ثقافة المرحلة، والاعتناء الأكبر بمدرسة الخدمات ذات الارتباط بالشهادات والمستويات ؛ إلا أنها ليست بديلا ملائما في رأينا عن مدرستنا الإسلامية الأبوية بأنماطها القديمة، بل إننا لو تتبعنا وضع الأمة منذ مزاحمة المدرسة الحديثة لرأينا فرقا شاسعا في حال وكيان الأجيال وحقيقة علاقتهم بالدين الإسلامي فقها وحديثا وتربية وتعليما، وأيضا علاقات ومواقف .

فالمدرسة الأبوية تنصب غالب اهتماماتها على إعادة ترتيب وعي الإنسان، وربطه بالثواب والخوف من العقاب، ولزوم المراقبة لله، وارتقاء مستوى عزته بمواقفه الشرعية وأدبياته الإسلامية قبل توجيه ثقافته واهتماماته بالحياة الدنيا، بينما نجد المدرسة الحديثة تجعل البناء الأخلاقي والروحي جزءاً لا يتجزأ من

مواد التعليم، وربما فاقت الدروس المادية في المدرسة دروس التعليم الشرعي والروحي، وهذه ظاهرة بينة في هياكل المدرسة العصرية، وانعكست آثارها السلبية على أجيال المسلمين منذ شمول سياسة الاستعمار التعليمية .

ولا نرى في واقعنا المعاصر فائدة تجنى من التحامل الكلي على المدرسة الحديثة، إذ هي اليوم رائدة المجتمع وطريق توجهه المعرفي بلا منازع أو حتى معادل أبوي، إذ إن المدرسة الدينية التي برزت مضارعة للمدرسة المادية إنما جاءت بفصل التعليم الديني عن الانتماء الأبوي، وجردت المواد الدينية المدروسة عن أوعيتها العلمية.

وتجردت هذه المدرسة الجديدة حتى من مدلولات الأخلاق النبوية ذات الانتماء المتوارث وطعنت في شرعية هذا الانتماء، وشجعت أشتات الجهال وأهل الاندفاع والانتفاع على حمل رسالة التبليغ دون سند أو انتماء أبوي متسلسل ما عدا الانتماء للتشكيلات الجديدة ذات الارتباط والاستناد إلى التغييرات السياسية المرافقة لما بعد مرحلة الاستعمار، معتمدة على الشهادات العلمية والمستويات الوظيفية والمسميات الأكاديمية، وأيا كان هذا الشأن من حيث أهميته العلمية فإنه عند التمحيص والتحقيق جزء من سياسة الإغراب بقافلة الأجيال عن تاريخ التسلسل العلمي الأبوي المسند، وهذا ما عبر به سيد الأمة ورائد العلم الأبوي المتواتر، وسماه في أحاديثه بالقبض للعلم والنقض للعرى.

وبرغم أن كثيرا من مواقع القضاء والمحاكم الشرعية والأحوال المدنية في بلاد

العالم العربي والإسلامي تعتمد المذهبية الأبوية؛ فإن كثيرا من هولاء العلماء والقضاة يمارسون العمل والفتوى كوظيفة من وظائف الأنظمة، ويتخرجون من مواقع الدراسات والجامعات على أساس العلم المرقوم، وربما اعترضوا وبدعوا وخطؤوا علماء المذهبية التي ينتمون إليها بالدراسة والتعلم لا بالسند والاتصال المسند، وينطوي غالب هؤلاء العلماء تحت مدلول علماء الخدمات أو ما سماهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رؤساء جهالا، والجهل هنا ليس ضد العلم، وإنما الجهل هو السفه والكبر وغمط الحق بعد معرفته، وهذا حال الكثير من علماء الخدمات وللأسف.

وأما في مستوى التربية والتعليم - وهو أساس التعليم الأبوي وقاعدة المدرسة الأبوية - فالصورة المشاهدة في الواقع العربي والإسلامي داخل المؤسسات والكليات خير شاهد على إغراب المناهج والمدرسين والإدارات والطلاب عما يسمى بالتعليم الأبوي أو المدرسة الأبوية تماما.

وزاد الطين بلة امتداد التغريب إلى بعض المواقع الأبوية القديمة كالأزهر الشريف بمصر وجامع الزيتونة بتونس وجامع القيروان بالمغرب وغيرها، أما في مواطن أخرى كالحرمين الشريفين فقد ظل العلم الأبوي كمادة مفرغة من أسانيد العلماء وإجازاتهم مع احتواء غريب للمذهب الخاص بهم وتفريغه من محتواه الأبوي في أهم معانيه كما أشرنا إلى ذلك من قبل، حتى إننا لم نسمع في عصرنا القريب أن عالما من الشافعية الأبوية أو المالكية أو الحنفية استجاز

أو طُلبت منه الإجازة العلمية لربط السند الأبوي المتصل مع علماء المرحلة المعاصرة في أفضل بلاد الله، بل تصدى عدد من علماء المرحلة لنقض المذهبية في كتبهم ومحاضراتهم ومذاكراتهم سواء العامة أو الخاصة مع طلاب المدرسة الحديثة، وأفرط بعض هؤلاء عندما تناولوا عقائد بعض العلماء الأثبات في مدرسة الإسلام المذهبي كالإمام النووي وابن حجر والسيوطي والغزالي وغيرهم، وهذه ظاهرة لم تعرفها مدرسة الأبوة عبر تاريخها العريق كله، وإن كان هناك فيما سبق ملاحظات ومناظرات فلا تتعدى الحوار المتسم بالأدب والاحترام اللائق بأهل العلم فيما بينهم.

ومن هذه الظروف المستجدة في تاريخ التحولات نجد أن المدرسة الأبوية قد عانت كثيرا ولا زالت تعاني من أبنائها وأتباعها أكثر مما تعانيه من أضدادها وأعدائها، فكثير من أتباع المدرسة الأبوية ومن لهم صلة علمية أو سندية بواسطة الآباء والمشايخ الذين أدركهم قد كرهوا إحياء هذه الأسانيد أو مجالسة أهلها أو حتى السؤال عنها للحفظ والتوثيق والإثبات، مما أضاع على المتأخرين أسباب الاتصال بأسلافهم.

ولقد أزف الوقت لأن يتنبه من بقي من سلالات الصالحين وخاصة الذين كان لآبائهم دور في احتضان دور العلم والأربطة والتدريس الأبوي في حلقات المساجد والأربطة والزوايا والبيوت، فيبدؤون في توثيق هذه الأسانيد وجمعها وأخذ الإجازة فيها أخذ تبرك أو تخرج إذا سمح الوقت بذلك، ومع هذا وذاك

فلا حرج في الأخذ بمناهج المدرسة الحديثة كعلم خدمات تحتاج إليه الأمة وتسهم من خلاله في بناء المؤسسات العلمية والأكاديمية، وتضاهي بهذه المواد التعليمية دول العالم الغربي والشرقي . ولكنه كما ذكرنا سلفا ليس بديلا عن علم المدرسة الأبوية .

ومن المستجدات السلبية في تاريخ المدرسة الأبوية بروز التأثير الإعلامي المؤثر أخلاقيا على شرائح الشباب والفتيات، حيث إن المدرسة الأبوية تمنع الشباب والفتيات عن الاشتغال بها وراء العواطف، حرصا على سلامة ذهن الطالب من الشواغل الغريزية، بل وتلزم طالب المدرسة الأبوية الالتزام بالثوابت الشرعية لتجنب كل التأثيرات النفسية والعاطفية استجابة للنداء الشرعي ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[النور:٣١].

وهذه الشروط الشرعية تكاد أن تتلاشى من الواقع الإعلامي، بل وتتضافر كافة الأجهزة الإعلامية على تحريك غرائز الشباب بنسب متفاوتة كلها تؤدي آخِراً إلى الإثارة وتحريك العواطف إلى ما لا تحمد عقباه، وقد يعجز الأب الصالح والمربي الناصح أن يوقف هذا المد الفاجر الغازي مخادع البيوت وقلوب الأغرار الصغار .

وقد سعى المعلم الأول صلى الله عليه وآله وسلم إلى وضع القواعد العملية

للشباب بحجزهم عن أسباب المغريات بالصوم «**يا مَعْشَرَ الشّبابِ.. مَنِ ٱسْتَطاعَ مِنْكُمُ الباءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، ومَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فعَلَيْهِ بالصَّوْمِ فإِنَّهُ لَهُ وِجاءٌ**»(١) .

والصوم هنا يحمل معان جمة في الأدب الأبوي، فصوم عن الطعام والشراب كما هو في ظاهر الحديث، ويَدخلُ أيضا من المعاني الصومُ اللغوي، وهو الصمت وغض البصر وكف السمع، وغيرها من الوسائل التي تساعد على حفظ توازن الغرائز .

ولكن وسائل المدرسة الإعلامية الحديثة تنسف هذه المعلومات الأبوية، وترجف الواقع بإغراءاتها ودعاياتها ودعاباتها الباذلة فيها مدفوعات مالية هائلة وجنودا عاملين كثر، تجعل المتأمل يتأكد يقينا أن الإسلام بعمومه مستهدف في شعوبه، وأن المدرسة الأبوية لا موقع لها في هذا الزحام المتلاحق .

(١) أخرجه البخاري .

إنقاذ المدرسة الأبوية يعتمد على قراءة علامات الساعة

لا يمكن لنا اليوم بأي حال من الأحوال لو أردنا الوقوف على الأساليب التقليدية للمعرفة أن نحرك ساكنا في واقعنا الخطير، وواقعنا الخطير ليس محدود الخطر على مدرسة النقض والقبض ومن شايعها وإنما على الأمة جميعا.

ومن أدبيات المدرسة الأبوية أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، والإسلام كله خير، ولابد من وضع منهج السلامة للأمة ولو على مساحات الورق إذا تعذر العمل بها على مساحة العقول والواقع؛ لأن في ذلك إرضاء لله ولرسوله، وللشاهد النبوي «لَوْ قَامَتِ السّاعَةُ وبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْها»[1] ولحديث «إذا لَعَنَ آخِرُ هـٰذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَها فَمَنْ كَتَمَ حَدِيثاً فَقَدْ كَتَمَ ما أَنْزَلَ ٱللهُ»[2].

وإظهار العلم بالنسبة لما قد خدم من ركام المطابع والمؤسسات ودور النشر أمر لا مزيد عليه، وإنما يكون إظهار العلم بإبراز ما يعادل الوحي ومهماته من العلم المكتوم الذي يستشري خطر السكوت عنه عند قبض العلم ونقض العرى، والعلم المكتوم أو المكنون هو الذي يحمل الحل والخروج من الأزمة..

(١) مجمع الزوائد عن رواية البزار.

(٢) سنن ابن ماجه .

إنه العلم بالركن الرابع من أركان الدين (قراءة علامات الساعة)، واعتبارها ركنا شرعيا لابد للمسلمين من تعلمه وتعليمه والإيمان به وتلقينه حتى لأطفالهم وصغارهم . لأن الثوابت الثلاثة لم تنقض وتتبدل في حياة الأمة إلا على يد المهندسين الموصوفين في أحاديث علامات الساعة بالدجاجلة . والدجل والدجاجلة والدجال لا يعرف ولا يميز خطر دجله ودجل أتباعه إلا من خلال التعمق في قراءة العلم بعلامات الساعة .

ومن هنا يمكن لنا أن نعرف مقدار المدرسة الأبوية وموقعها من الحياة العلمية والعملية، فهي مدرسة الثبات وحسن التلقي وحسن التأدب مع العدو قبل الصديق، ومدرسة الإسلام والإيمان والإحسان على مراد الله ومراد رسوله، والعالم كله يحتاج إليها ويطلبها لو خدمت رسالتها خدمة مجردة عن الأنانيات والعشوائيات والسفسطائيات، حيث إن المدرسة الأبوية تحولت في مراحل التحول والتبدل إلى ركام من المعلومات والقضايا تجمع بين الإفراط والتفريط والاعتدال .

والسلامة في إعادتها إلى نصابها هو حد التوسط، وإعادة ترتيب ثوابتها، وإزاحة ما علق بها من تطرف وسوء تصرف، ففي هذا التوسط المسند سلامة الجميع بمن فيهم أتباع وأشياع مدرسة القبض والنقض أنفسهم لو أرادوا ورغبوا . ومثلهم كثير من أتباع المدرسة الأبوية مذهبية وصوفية وأشياعا ومحبين لآل البيت وغيرهم من المستغرقين في حمأة الغفلة والاعتداد بالأحساب

والأنساب، والمنطلقين في مسيرة الإفراط والتفريط خطأً واندفاعا مشينا، وكأنهم قد أمنوا يوم الحساب .

إن منهج المدرسة الأبوية المعتدل ـ متمثلة في المذاهب الإسلامية المتوارثة ـ يدعونا جميعا إلى وقفة جادة ذات مسؤولية ـ وهي مسؤولية تفوق كل المسؤوليات وتسبق كافة المهمات ـ : أن نبدأ في قراءة فقه التحولات ونتناول الندوات العلمية والشرعية حول تفصيلات علامات الساعة وربطها بمسيرة التاريخ ومسيرة العلم على غير إفراط ولا تفريط ولا تحيز ولا تمييز ولا افتئات، مبتدئين من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «بُعِثْتُ أنا والسّاعَةُ كهَاتَيْنِ»[1] فقوله: «أنا» اعتداد بالذات المسؤولة عن المدرسة الأبوية، وقوله: «السّاعَةُ» إشعار بما يدور من علاماتها من نقض وقبض وتغير وتَحوّل.

فابتعاثه بالحق قائم من عصر بعثته إلى النفخ في الصور والمرافقة المقروءة في قوله: «كهَاتَيْنِ» رسم بياني يجب الوقوف عنده بتمعن لمعرفة المراد من الموافقة الزمانية والمكانية، وتحت هذا العلم سر خطير لا يباح به ولكن يشار إليه فقط.

ومن هذا الحديث ننتقل إلى حديث جبريل الجامع للثوابت الأربعة في نص الحديث، وفيه إصرار واضح على علامات الساعة وأماراتها: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ

(١) صحيح البخاري .

رَبَّتَها، وأَنْ ترىٰ الحُفاةَ العُراةَ العَالَةَ رِعاءَ الشّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في البُنْيانِ»[1].

وقد جمعت هاتان العلامتان أساس العلامات الخطيرة بشقيها الروحي والمادي. فـ«**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها**» إشارة إلى النقض العلمي والأخلاقي والروحي، وإضاعة ثوابت المدرسة الأبوية ذات السمو الأخلاقي والشرعي حتى يتغير البناء الأسري داخل المنـزل، وتذوب مفاهيم البر للوالدين تحت الغزو الفكري المسيس، وخصوصا في شأن الأم والبنت اللتين عليهما تدور مسألة التربية الأبوية داخل المحضن الأول للأخلاق. و«**وأَنْ ترىٰ الحُفاةَ العُراةَ العَالَةَ رِعاءَ الشّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في البُنْيانِ**» إشارة إلى شمول الماديات وسقوطها في يد البداوة والجهال الذين يصابون بداء التنافس والتناحر في سبيل الامتلاك وخدمة العجل المادي المعبود.

ففي الأولى : انعدام أثر المدرسة الأبوية.

وفي الثانية : طغيان مدرسة القبض والنقض.

ومن هاتين العلامتين تجب المتابعة للآثار النبوية لاكتمال معرفة خطر الركن الرابع ومسؤوليته العظمى عن معالجة ما يدور في واقع الحياة المعاصرة. ففي الحديث بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدّث فقال بعض القوم : سمع ما قال فَكَرِهْ ما قال، وقال بعضهم : بل لم يسمع، حتى اذا

---

(١) أخرجه مسلم .

قضى حديثه قال صلى الله عليه وآله وسلم : «**أَيْنَ أُراهُ السّائِلُ عَنِ السّاعَةِ؟**» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «**فإِذا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السّاعَةَ**»، قال: كيف إضاعتُها؟ قال: «**إِذا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السّاعَةَ**»[1].

وكلا العلامتين مبنية للمجهول «**إِذا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ**» «**إِذا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السّاعَةَ**»، فالإضاعة والتوسيد لا يعرف فاعلهما المباشر، وإن كنا الآن في مرحلتنا المعاصرة قد عرفنا الفاعل ونائبه ولكن النبوة المحمدية تستبق الأحداث وترافقها بثقة ومسؤولية.

---

(١) رواه البخاري .

سموم الأضداد ضد مدرسة الآباء والأجداد

كان الحرص منذ بداية هذا الكتاب يدفعني إلى تعريف الجيل الراغب في الحقيقة بأن أوسع مجال البحث حول المدرسة الأبوية وما تعرضت له من نكسات مدبرة، ولكنني وجدت أن جيلنا المعاصر قليل المتابعة والقراءة، بل نادر الاهتمام بمثل هذه القضايا التحليلية، مشغول بالحركة في عالم الضبابية المعتم، فعرجت على ما كتبه أعداء المدرسة الأبوية أنفسهم من مهندسي العمليات التربوية والتعليمية في العالمين العربي والإسلامي منذ سقوط قرار الحكم والعلم، لعل أن يكون ذلك باعثاً لأهل العقول السليمة فيدركوا حجم الخطورة التي رسمها العدو منذ زمن بعيد لتقويض أثر المدرسة الأبوية واحتوائها.

قال المستشرق صموئيل زويمر في مؤتمر القدس التبشيري الذي انعقد في شهر نيسان من عام ١٩٣٥م إبان الاحتلال البريطاني لفلسطين مخاطبا أعضاء المؤتمر: إنكم أعددتم شبابا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم الإسلام من المسلم ولم تدخلوه المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، لا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال

فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز فللشهوات، ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء، إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه، وانتهيتم إلى خير النتائج. اهـ[1].

وكتب المبشر تكلي : يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيرا من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية [2].

وقال المستشرق زويمر أيضا في مؤتمر القدس ١٩٣٥م : لقد قضينا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في المالك الإسلامية، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية، والفضل لكم وحدكم أيها الزملاء . اهـ[3] .

هذا هو ما كشفه الأعداء من مؤامرات ضد مدارسنا الأبوية وما سكتوا عنه أكثر وأكثر، لأن المستثمر يخفي وسائل أرباحه ويكتم سر نجاحه ؛ ولكنا نحن المسلمين لا نجد في أنفسنا حاجة لإعادة ترتيب أنفسنا، بل ولا أن نفقه حجم سياسة أعدائنا فينا، ودب إلى عقولنا داء الأمم، فرضينا الذلة وساهمنا في

---

(١) «غزو في الصميم» لعبدالرحمن حسن حبنكة ص٢٧-٢٨ .

(٢) «إيضاح الإشارة لما أصاب الأمة من هزائم السقوف المنهارة» للمؤلف صفحة ١١٣، مطبوع.

(٣) المرجع السابق «السقوف المنهارة» صفحة ١١٦ .

توزيعها على أجيالنا، ونحن معتزون بالإثم وللأسف .

والأدهى والأمر أن عديدا من أحفاد وأبناء وأتباع المدرسة الأبوية ذاتها لا يرغب أن يقرأ أو يسمع شيئا يجدد دعوة آبائه المسندة، بل ويعتبر التجديد من وجهة نظره الحائرة خروجا عن طريق السلف، وتجاوزا لما أرادوه فينا .

ولكن هذا العنصر ذاته عندما يعمل أو يباشر الوظائف الرسمية والدراسات العلمية وينصهر في سوق العرض والطلب، جاثيا بين مواقع الشبهة والحرام على الرُكَب، لا يتذكر أن هذه الحالة المزرية التي هو وأشباهه عليها خروج عن طريق السلف وتجاوز فاضح لما أرادوه، بل وما أراده نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فهو في النهار عامل خدماتي في مدرسة الضد والشبه والقبض والنقض، ربما لأجل اللقمة، وربما لأجل إيصال الكلمة الحسنة والحكمة ؛ ولكنه في حياته ومناسباته يتقوقع عن كل شيء يجدد دعوة أهله وسلفه مستكينا إلى كتيبات معينة وأوراد وأذكار محددة، ومجموعة من الأشباه والأمثال لا يتجاوزون عدد الأصابع، يستعرضون حال السلف وحكاياتهم وأخبارهم وآثارهم، ولا يرغبون في أن يقتفوا بهم عمليا فيما كانوا عليه من إصلاحات اجتماعية وأخلاق نبوية ونشر دعوة في الأفجاج والأصقاع الإنسانية، ولهم من الأعذار والتمحّلات والتعللات ما لا مزيد عليه .

لقد صار من الواجب على شباب المدرسة الأبوية أن يولوا المسألة المعرفية اهتماما يضارع اهتمامهم بنشر التعليم المتوارث، وينظروا في أسراب الشباب

والفتيات التائهين في معركة الحيرة والغرائز والهوايات، ويفهموا بوعي أبعاد الدعوة المحمدية.. الأصل الذي تفرع منه كافة الدعوات، ويستلهموا من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم معالجة الأدواء الفاشية، وحاجة الأمة إلى مدرسة الآباء الصافية .

وقفة مع ثوابت المدرسة الأبوية

يعتقد البعض من الراغبين في استعادة أثر المدرسة الأبوية أن هذه الإعادة سهلة المأتى قريبة الإمكان، وخاصة بعد فشل المدارس الحديثة في الجانب التربوي السلوكي ونجاحهما في الجانب العلمي الأكاديمي، وعلة الأمم ليس في غياب المعلومات المعرفية الأكاديمية وانعدامها، بل علتها في انعدام أخلاقها وآدابها وهويتها الشرعية، وما نحن نعيشه اليوم من حروب وانتهاكات بوسائل العلم الحديث، وبعقول عباقرة المعرفة النظرية أكبر شاهد على حاجتنا للأخلاق أكثر من حاجتنا للتكنولوجيا الحديثة والأسلحة المتطورة .

وهذا ما تفرد به الإسلام على غيره من الدعوات الإنسانية الممسوخة، وإذا ما أسهم المسلم في مسخ دينه ودعوته فقد رضي لنفسه استتباع تهوكات اليهود والنصارى ومن دار في دائرتهم السلبية.. هذه التهوكات التي أدانها القرآن من دفته إلى دفته .

والمجتمع المعاصر يدعونا جميعا للبحث عن المخارج ذات الحلول الإيجابية في بناء الإنسان وضمان استقراره وسلامة منطلقاته وتصوراته في أمر دينه ودنياه.

والإجابة على هذا المطلب كما أشرنا سلفا كامن في الإسلام ذاته، والإسلام أمانة أودعها الله في صدور الأمناء من هذه الأمة، وليس مودوعا في الأرقام والسطور، وإن كانت الأرقام والسطور وما فوقها وسائل إيضاح ومادة علم وقراءة يحسنها البر والفاجر، وحياتنا اليوم تعيش حالة أزمة في الأمناء وكثرة في ترويج الخيانات، وهي علامة من علامات الساعة .

ولا يخلو مجتمع الإسلام من عدوله ورجاله وأئمته الأثبات علماء الصدور وإن كانوا قلة ؛ ولكنهم خلدوا إلى السكون، وأصابهم داء الانقباض، وغلبهم رؤساء الجهل المركب، الذين نـزعوا بمسيرة القافلة إلى غير جادة الطريق، وهاقد بلغت الأمة إلى حافة الهاوية.. إلى مشارف جحر الضب المعبر عنه في حديث من لا ينطق عن الهوى «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وذِراعاً بِذِراعٍ حَتّىٰ لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»[1]، والعود إلى نقطة البداية أمر يشبه المستحيل، كما أن الانتحار مع غثائية المرحلة دمار وفشل، وبينهما يكمن الاعتدال .

ومسيرة الاعتدال هي دعوة الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام، وتبدأ هنا بإنقاذ ما يمكن إنقاذه في طوفان المرحلة المعاصرة، فالطوفان مدمر لكل شيء لا محالة، والتعرض لإيقاف مد الطوفان أو تحويل مجراه أمر يفوق المعقول ويتجاوز الإمكان، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه مبدأ يخدم القضية ويحقق

(١) صحيح البخاري .

المطلوب، وهو المعني في الآيات ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [الشورى:٤٨] ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية:٢٢].

ولما كنا في عصرنا على مفترق الطرق، والمسيرة حرجة للغاية، وغالب العقول قد أُعيد ترتيبها وفق العرض والطلب، بل صارت مجرد آلات لتنفيذ مسيرة الآلية الدجالية، ولما قل النصير والناصح، وفُهم الدين الإسلامي كجزء من مشروع الدجل والدجاجلة يؤدي الغرض المرجو منه في برامج الاستسلام، ويخدر الشعوب المستسلمة بوسائط الإعلام وحملة الأقلام، لما كان الأمر كذلك آمنّا يقينا أن صورة الحق البلجة لا تُعرف ولن تُعرف إلا بدراسة ما جاء عن الصادق المصدوق وهو يبرمج للإنسانية جمعاء مشروعه الإيجابي عند بروز علامات الساعة، وأن هذا المشروع وحده كفيل بقيادة الأمة إلى بر السلامة .

إنه مشروع الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة واتخاذ منهج الدعوة إلى الله أصلا من أصول المنطلقات في حياة الناس كلها، على أن يوضع كل من الناس فيما يحسنه ويعلمه «والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»[1].

ضابط هذه الدعوة الاعتدال وترك الخصومة والجدال، والابتعاد الكلي عن الأنانية والانفعال، شاهده قول صاحب المشروع النبوي: «لا تَغْضَبْ.. لا تَغْضَبْ.. لا تَغْضَبْ» . وقاعدة هذا السلوك والانضباط قوله صلى الله عليه

(١) أخرجه البخاري عن رواية أبي هريرة .

وآله وسلم : «اتَّقِ اللهَ حَيْثُما كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها، وخَالِقِ النّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ»[1] ، وهذا منهج السلامة .

والآخِذُ من هذه الأمة بهذا المبدأ عليه أن يعتمد القواعد التالية :

١- حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله، أي: لا ينطلق في أمر الدعوة من خلال سوء الظن بالحق سبحانه وسوء الظن في الخليقة، بل يحبب الله إلى الناس ويحبب الناس إلى الله .

٢- أن يبدأ بنفسه فيصلَحها، وصلاحها قائم على أسس هامة مبدؤها التوبة النصوح من كل ذنب ظاهر وباطن، قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾ [الأنعام:١٢٠].

فترك الإثم ظاهرا وتركه باطنا قوة في الذات ومدد من الله في كل الحالات، وقوة في اللسان وثبات في القلب، وتيسير السالك والداعي لأسباب القبول لدى الناس .

والمقصود هنا بالترك للإثم تصفية القلب عن الرعونات البشرية، وإزاحة آثار الغش والغل والحقد والحسد، وهي ما تسمى بسلامة الصدر، وهو مطلب عظيم في التزكية الربانية والتربية الرحمانية، وفيها يقول المولى عن شرف النجاة يوم القيامة ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء:٨٨-٩٨].

(١) سنن الترمذي .

وهذه مرتبة تربوية عالية لا تتأتى إلا بالانطواء في الشيوخ المربين للقلوب، والانطواء هو قبول إماتة النفس بالتزكية رغبة في بروز سرها الباطني، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس:٧-٩].

وهذه التزكية أدب لازم لإماتة الشعور بالكبر والأنانية والعلو والجدارة أو الافتخار بالحسب والنسب والمال والشهادة والمستوى والأسرة والمقام الاجتماعي والسلطة والقبيلة والجماعة والحزب والفئة .. إلخ . حيث يظل المرء عبدا لهذه الرغبات ما دامت حية في نفسه وذاته، ويَنْفُذُ من خلالها الشيطانُ والهوى، فإذا ما وُجد المربي الذي يتدرج معه في إماتتها تبدأ الحياة الجديدة التي عبر عنها الحق بقوله : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢]، وبها تستقيم قناة المجتمع في مفكريه وعلمائه ووجهائه.

٣- أن يخلص في شؤونه لله تعالى متدرجا في ذلك بالنية الصالحة، والاعتراف لله بالخشوع والخضوع والتذلل، وطلب المغفرة في الصلاة والسجود، والدعاء لنفسه بالعون والثبات والتسديد مرة بعد مرة، فينقبس في قلبه نور الإخلاص، وهو الدافع القلبي في سر العبد وتوجهه خلال عمله ودعوته وعلمه وتعلمه، وهذا المطلب لا يتأتى بمجرد التمني أو السؤال عنه وسماع الإجابة، بل هو حصيلة المجاهدة للنفس، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]. وهذا هو الفارق الأكيد بين دعاة الحق ودعاة

الباطل، فدعوة الباطل هذر وكلام واستعلاء وهم وغم، تجعل صاحبها كثير الشك والوهم، بعيد الفهم ثقيل الحركة في طاعة الرب، قاسي القلب سيء الظن، ومع هذه الأمراض يجد صاحب الباطل قدرة على إيراد الأدلة واستنباط الأحكام واستخراج المعاني واستغراق الوقت في الحروف ؛ ولكن هذا كله لا يورثه اطمئناناً ولا راحة معنوية، بل يعيش مهموما يوزع همه على الآخرين باسم الدين والتدين، وهذه أزمات وليست حلولا، أما دعوة الحق فأمنٌ واطمئنان وراحة واتزانٌ، ولمجرد النظر في صاحبها وحاملها يذكر الله .

٤- أن يأخذ نصيبا من العلم الأبـوي النافع المـؤدي إلى الإحساس بالمسؤوليات، والعلم الأبوي الذي هو علم القرآن، وأخذه من أهله بمعانيه العالمية، وعلم السنة الشريفة وأخذها من أهلها بمعانيها الراقية، وأن يطلب من شيوخه الإذن في النصح والتعليم والإجازة في الذكر والطلب العلمي، فيجيزونه ويوجهون قلبه وقالبه، ويدعون له بالغيب، كما يزيد بعد ذلك من العلوم ما يحتاج إليه في أعمال التعبد وفي نشر العلم والدعوة، ويتأتى ذلك بمطالعة الكتب النافعة وقراءتها على مسامع الشيوخ وتقييد ملاحظاتهم . وقد يحتاج البعض إلى زيادة في طلب العلوم النظرية التطبيقية فلا بأس بذلك لخدمة منهج دعوة الإسلام، فالإسلام يدعو المسلم إلى طلب العلم ولو بالصين، كناية عن بعد المسافة أو كناية عن الحاجة إلى كل العلوم وإن كانت معقدة المدلول واسعة المواضيع .

٥- أن يظل دَأْبُه ذكر الله في السر والعلن، والصلاة على نبيه صلى الله عليه

وآله وسلم، ومحافظا على أمور دينه كالصلاة والصوم وصلاة الجماعة، وقيام الليل، وحضور مناسبات المسلمين ومشاركتهم في جنائزهم وتشييع أمواتهم، وإفشاء السلام بينهم، والقيام بحقوقهم من غير إفراط ولا تفريط.

٦- أن ينشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بين طوائف المسلمين على مختلف أجناسهم وطبقاتهم واختلاف مفاهيمهم، ولا يخوض في مذاهب الناس أو يسفه آراء علمائهم علنا إلا إن كان الأمر قد وجب لإخماد فتنة أو إظهار حجة فلا بأس أن يكون ذلك بالحسنى ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥].

٧- أن لا ينتظر من السامعين شكرا ولا مديحا ولا ثناء حسنا، بل يجعل همه رضاء ربه ونشر دعوة نبيه، بل ويجب عليه الصبر إذا سمع ما يغضبه أو يشوش عليه من عموم الناس، ولا يطلب منهم مالا ولا مساعدة في شأن من الشؤون الدنيوية، فإن في ذلك إنقاصا لقيمة الدعوة إلى الله، وخاصة مع بدء تفاعل الداعي في مهمته الربانية .

٨- أن يحافظ ما استطاع على معاني القدوة الحسنة في القول والفعل واللباس والحركة والكلام والسكوت، فالناس أدعى للتأثر بالسلوك أكثر من تأثرها بالكلام والمواعظ .

٩- أن يضع الدعوة حيث يجد بها عنصر القبول، ويكون الطرح مناسبا

للمناسبة ذاتها .

وهذه وسائل عمل لله يمكن أن يبدأ بها الراغب في تغيير الواقع المحبط.. مع ما يحتاج إليه من وسائل أخرى كنشر الكتاب والشريط ومتابعة المحاضرات ومواقع الخير في الأجهزة وفي الواقع.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الراغب في سلوك العلم الأبوي عليه أن يقطع طريق حياته في الاستفادة من أسباب ما ذكر، ويبتعد ما استطاع عن مواقع الضدية ومنازعات المذهبية والتيارية والفئوية والصراع السياسي، ويتجاوز هذا كله إلى لب الدعوة والإسلام إن أراد الفائدة والأثر السليم، ومن لم يستسغ ذلك وألزم نفسه الرغبات وملاحقة البيانات وصراع الفئات والجمعيات والتكتلات فلابد أن يعيش هائما في إعلامياتها إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

إن طوفان المرحلة أبرز لنا تجربة غنية بالفشل، كما أظهر لنا معاناة مفعمة بالأمل، وبينهما خيط رقيق، والتوفيق من الله تعالى. وأصل النجاح كله في تقوى الله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة:٢٨٢] . وفي البعد عن الشبهات والحرام والمعاصي والآثام ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾[الأنعام:١٢٠]. ومن بدأ بنفسه فسعى في إصلاحها جعل الله قوله وفعله وحركته وسكونه ونطقه وصمته دعوة ونفعا. ومن بدأ بالمنازعة والمقارعة والمناظرة ومتابعة صراع المراحل وما يدور فيها عاش في دوامة المتناقضات وقضى لب حياته منقبضا مهموما . ولله في خلقه شؤون، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .

وسائل التربية في المدرسة الأبوية

تؤمن المدرسة الأبوية بمبدأ التربية قبل التعليم، وتضع اهتماماتها منذ بداية الحياة الأسرية لتعويد الطالب على الفضائل والأعمال الصالحة، وحجزه عن الآثام والشرور وجلساء السوء.

وينشـأ ناشـئُ الفتيـان منّـا　　　عـلى مـا كان عَـوَّده أبـوهُ

ولهذا الغرض والهدف الهام يبدأ توجيه الاستعدادات الأولية، لجعل الناشئ يتهيأ لمسؤولياته العلمية والعملية من مراحل حياته الأولى في الأسرة، ليحمل هوية المدرسة الأولى.. المدرسة الأبوية المتصلة بأسانيد الصالحين إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويتركز التوجيه التربوي على ما يلي :

١ – تكثيف المواد التعليمية وخاصة مواد الحفظ كحفظ سور القرآن ومتون الأحاديث ومتون الفقه والنحو والفرائض وغيرها، وخاصة المتون الشعرية، وذلك قبل مرحلة البلوغ. حيث يبدأ العمر العلمي للطالب في المدرسة الأبوية من سن التمييز، وهو سن التلقي الشفوي وتلقين المادة والتدرب الأولي على المهارات الكتابية.

وسن التمييز يكون مظهرا لمسؤولية الناشئ عبر التوجيه الأبوي خلال

مرحلة الإدراك، وإلا فالأصل أن الناشئ قد اكتسب مهارات تعليمية وتربوية وأخلاقية قبل هذا السن في محيط العلاقة الأبوية الخاصة .

٢- ترتيب أوقات الناشئ بحيث لا يذهب وقت على حساب آخر، وخاصة أوقات الصلاة - أوقات التعليم - أوقات النوم .

٣- عزل الناشئ عن الأضداد، وهذه قاعدة عامة لدى الآباء والمربين في المدرسة الأبوية، حيث يجعلون قنوات التلقي العلمي والخلقي منحصرا على مجموعة أفراد لا يتجاوزون الأب والأم والمعلم، وقد يتعدد المعلمون ولكن في نمط متشابه، ويكون غالب الرفقة في المدرسة الأبوية الأولى من نمط بيئي متشابه، ولا تتجاوز العلاقة بين الناشئة موقع المدرسة والبيئة .

٤- عزل الناشئة عن الأسواق والأماكن العامة، حيث كان التعليم الأبوي محدود المكان والأبعاد، ويركز الآباء والشيوخ على أن يظل الناشئة بعيدين تماما عن الأسواق وما يلحقها من أماكن التجمع البشري ؛ إلا إن كان الناشئ مصاحبا لوالده أو معلمه .

٥- إسدال الستار تماما أمام الناشئ عن الجنس الآخر وما يدور من علاقات أو مميزات، بحيث لا يدرك الناشئ عن هذا الأمر شيئا غير ما تمليه غريزته، حتى ينضج تماما ويصل إلى مرحلة البلوغ، وكانت المراحل الأولى مساعدة كل المساعدة، لانعدام الوسائل الإعلامية، والوسائل الإعلامية

ليست مصدر الانحراف وإنما هي مجرد وسيلة فقط، ولهذا فإن هذه الوسائل إذا أُحسن استخدامها فإن لها دورا إيجابيا في تحسين تنشئة الطفل وقوة معلوماته.

٦- تعظيم شأن الشيوخ والعلماء والمآثر في عين الناشئ، وهذه من أهم قواعد بناء المواقف وقوة العزائم لدى الناشئة، حيث تقدم لهم شخصيات العلماء والأولياء والصحابة والتابعين بصورة تتناسب مع حقيقة المقامات والبطولات التي يعكسونها في الواقع، ولا يوقفون الناشئ على شيء من الخلافات والتناقضات التي تسبب اهتزاز المثال الروحي والتربوي في ذهن الناشئ.

٧- إدخال الناشئة على كبار العلماء والصلحاء وطلب الدعاء لهم وتحنيك الأطفال وإلباسهم، وهذا تقليد إسلامي هام في حياة الناشئة عرفه المسلمون قديما على عهد صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه من النفع التربوي والروحي ما يربط قلب الناشئة بعباد الله الصالحين حتى بعد نضجهم واكتمال أعمارهم، حيث يذكر الآباء والأمهات للطفل بعض الشيوخ الذين ألقموه أو ألبسوه أو دعوا له مما يحقق معاني الارتباط المرجو ظاهرا وباطنا[1].

٨- ربط الناشئة بمناسبات الإسلام وعاداته النافعة، وكذلك بالمناسبات

---

(١) يقابل هذا الحال في المدرسة الحديثة ما يشاهده المسلم من احتضان المربيات والدايات غير المسلمات أو الأعجميات للطفل منذ ولادته، وربما لم يؤذن في أذنه ولم يُدعى له، ولم يحنّك على يد شيخ صالح.

المحلية ذات العلاقة بالمدرسة الأبوية، وذلك من خلال تعظيم المناسبة وإلباس الناشئة الملابس الجديدة وتلقينهم بعض الأهازيج الإسلامية وغير ذلك، كما هو في بعض البلاد خلال عشر ذي الحجة ورمضان وشعبان والمحرم وغيره، لتظل المناسبة مربوطة بالحياة الاجتماعية.

هذه الوسائل في الغالب هي وسائل المدرسة الأبوية مع الناشئة، ومثلها وسائل أخرى كتربية الشباب والفتيات وتنشئتهم على الفضائل والأدب والتواضع وحب الحجاب للفتاة وحسن الخدمة في البيوت.

وبانعدام هذه الوسائل أو تخلخلها بما ورد على التعليم في خارج المدرسة الأبوية افتقدت التربية أهم عناصرها الإسلامية، وبدا الواقع الإسلامي حاملا مفاهيم وتطبيقات تختلف تماما عن مطلب المدرسة التي ينتمي إليها المسلم . وهذا ما يشهده المعاصرون من انعكاسات الآثار التعليمية والإعلامية المعاصرة.

إن عودة الأسلوب التعليمي التربوي الأبوي إلى الواقع المعاصر بنمطه التقليدي أمر مستحيل ولا شك؛ ولكنا نعتقد أن التربية الأبوية بمرونتها وسعة ثوابتها قادرة على التكيف النسبي مع ظروف الحياة المعاصرة، إذا وجد المعلم والأب والأم الواعي مهمة الدور المناط به.

وفي ذات الوقت يمكن للشاب والفتاة المعاصرة أن تضطلع بدورها الأدبي

والعلمي المناط عليها في المدرسة الأبوية، من خلال التزامها بقواعد السلوك والمحافظة على ثوابت الآداب المرعية، مع اهتمامها بالعلم والمعرفة وسعة الإطلاع.

إن من محاسن المدرسة الأبوية كونها صالحة لكل زمان ومكان، من خلال قدرتها على التوازن الشرعي مع نماذج السلوكيات الأخرى، بل وقادرة – عند الأخذ بها من مبدأ الصدق والاجتهاد– أن تعيد رسم الاستعدادات النفسية والتربوية لدى الآخذ بها والملتزم بشروطها .

والمدرسة الأبوية هي مدرسة الفطرة ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠]، والفطرة تكاد أن تكون ناطقة بالحق حيثما نـزلت بصاحبها، وخاصة إذا وجدت المربي الصادق والمعلم الصادق والتضافر المسؤول .

وبحكم توفر العديد من الوسائل الحديثة يصبح منهج المدرسة الأبوية في الجانب التعليمي والمعرفي ممكن الوصول إلى الراغبين فيه أو المتأثرين به أو المحبطين عنه، الذين انقطعت بهم السبل في رحلة الحياة الآلية المعاصرة . كما يحظى منهج المدرسة الأبوية رغم تفرق مواده في بقية الكتب والمراجع التقليدية بسهولة الجمع والترتيب .

ويبقى الأمر الصعب في منهج هذه المدرسة: مسألة الاقتداء والعمل التطبيقي، وهما الغاية الكبرى في منهج الإسلام كله، نسأل الله التوفيق والسداد آمين .

الآثار الباقية من المدرسة الأبوية

ظلت شعوب البلاد العربية والإسلامية محافظة على وسائل المدرسة الأبوية ذات الارتباط بالمذهبية والتصوف وآل البيت على مدى تاريخها المتلاحق .

وبدأ العد التنازلي لهذه الآثار الأبوية مع بداية مرحلة الغثاء، وكان مع هذا العد التنازلي في جانب آثار المدرسة الأبوية تَنام معاكسٌ في ظهور المدرسة الحديثة ذات الصلة ببرنامج الثورة الصناعية وبمصالح قوى الاستعمار والتطبيع في العالم .

ولهذا ظلت المدرسة الأبوية قوية الأثر والتأثير في المراحل الأولى من ظهور المنافسة، حيث كانت سياسة الاستعمار والتطبيع تقوم على المرونة وإطالة النَّفَس السياسي والاجتماعي في احتواء الثوابت الأبوية .

والمتأمل في البلاد العربية والإسلامية بعمومها منذ الحروب الكونية وتقاسم تركة الرجل المريض يرى التدرج الخطير الذي انتهجته مدارس الاستعمار وسياسة التطبيع خطوة خطوة، وما فعله الإعلام الغربي في الواقع العربي والمسلم من تأثير دعائي لاستتباع وسائل الحضارة، وذم الأساليب التقليدية،

واتهامها بالتخلف والتحجر وما شابه ذلك، حتى نشأ جيل الرفض للقديم من داخل الجسد الإسلامي المتهالك .

وكأني بالآية الكريمة تعبر عن نفسها أمام هذا التضافر السلبي فتقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٣٢]، ومن هذا الإباء بقي دور المدرسة الأبوية المسندة يصارع أمواج التجديد بحفظ الله، ويحافظ على توازنه الشرعي في قلوب رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وعلى مدى القرن الماضي وما تلاه نرى المعارك الصامتة داخل المجتمعات المشحونة بالصخب وأسباب الحضارة، وفي الأرياف المشهود لها عبر القرون بالجدارة، وجنود الله يعملون في صمت وهدوء، غير عابئين بما يدور أو يُدار من تطبيع وتطويع، مستلهمين العهد، ومنتظرين صدق الوعد الذي لا يُخلف.

ففي الحجاز وما حولها كانت هذه الأبوة الشرعية منطلقةً على شكل دروس علمية شعبية في المنازل، ولقاءات دعوية واحتفالات بالمناسبات التقليدية، وزيارات للعلماء والمشايخ المنتمين لمدرسة الأبوة المباركة . وبين الحين والآخر يتناولون فيها الإجازات والدعاء والنظر المبارك إلى أتباع هذه المدرسة المظلومة، كي تظل متزنة السير في أتون المنازعة الضدية والمقارعة الندية .

وعلى غفلة من عيون الرقباء حافظ العديد من صالحي هذه المدرسة على رعاية الأفراد الراغبين في حمل أمانة العلم الشرعي المتوارث ومتعلقاته، بما تقر

به العين ويحفظ شرف الملة على ثوابت أهل التمكين، ولله الحمد والمنة.

وفي بلاد الله الواسعة من مصر وشام وهند وسند وخليج وسودان ومغرب وغيرها نرى المدرسة الأبوية المرتبطة بالثوابت الثلاثة (المذهبية، التصوف، آل البيت) حافظت على كثير من قواعدها الأبوية، وحرصت على ثوابت منهجها الشرعي داخل الأقبية والمنازل والتكايا والزوايا والخلوات والمدارس الأهلية، بما يؤكد سلامة الحالة ولو في حدها الأدنى وبقاء المنهج وإن لم يكن مشاعا بنفس الدرجة والطريقة القديمة الواسعة، فأسهم الأزهر الشريف بمصر إسهاما واسعا في حفظ النمط العلمي التقليدي للمدرسة الأبوية، وارتبطت به مدارس الحجاز واليمن والشام وغيرها وقتا طويلا من الزمن، حيث كان الأزهريون ينتشرون في كثير من أفجاج العالم العربي والإسلامي، يمثلون شامة متفردة في الواقع المعاصر، ولازال حتى اليوم بعض هولاء العلماء المرتبطين بالمدرسة الأبوية يؤدون دورا هاما في كثير من بلاد العالم.

كما أسهم الشاميون الفضلاء في توطيد ثوابت المدرسة الأبوية بحفظهم للأسانيد ورعايتهم لكثير من علوم الشريعة، برغم ما تعرضوا له من شتات وأذى وتشريد وتنكيل، كما أسهم العلماء المغاربة من حملة العلم الأبوي في تثبيت دعائم هذه المدرسة وخدمة تراثها العلمي الشرعي ورعاية أسانيدها العالية وربطها بأسانيد الحجاز ومصر واليمن والشام و في اليمن حافظت المدرسة الأبوية الزيدية في الأعالي كصنعاء وصعدة وحجة وإب وذمار وجبلة

وغيرها على المنهج الأبوي المتوارث، مع أسلوب يختلف قليلا عن أسلوب مدرسة حضرموت والتهائم.

بل رأينا الرجال العقلاء في مدرسة حضرموت قد شمروا عن سواعدهم عشية بروز المدارس الحديثة بعدن وأنحاء من بلاد اليمن، وأنشأوا المدارس والأربطة ودور العلم مع بداية مظاهر الاستعمار وبدء احتوائه للمسألة التعليمية، وهناك في إندونيسيا وشرق إفريقيا حيث كان للمدرسة الأبوية وجود واسع انطلق العلماء والوجهاء في إنشاء المدارس الأهلية ذات المناهج الأبوية للمحافظة على الأجيال، وربطهم الأكيد بمدارس السلف في كل مجال.

وعاد عائد هذا كله بالنفع العميم على المرحلة اللاحقة.. مرحلة ظهور مدرسة الإلحاد والمادية.. حيث صمدت مدارس الأبوة أمام هذا التيار الآثم، وحققت في المستوى الشعبي تأثيرا ملحوظا وهاما رغم التضييق الشديد والموقف العنيد ضد مظاهر المدرسة بكاملها .

ولم تبرز المرحلة الجديدة المعاصرة التي شملت العالم الإنساني كله بعيد سقوط الشيوعية العالمية إلا والاحتياطي الشعبي للمدرسة الأبوية يمتلك قسطا من التوازن مع جديد المرحلة وبرنامجها الفكري المطروح، مما أسهم في تلافي الشرخ العلمي الذي أحدثته التحولات، وتنفست شعوب الملة الصعداء في كثير من البلدان وهي تشهد إحياء الثوابت العلمية للمدرسة الأبوية فقهاً وقرآناً وحديثاً وعقائدَ ولغةً وآداباً وسيرةً إلى جانب مسيرة التعليم الحديث.

وانطلق العالم كله يتحدث عن الإسلام وأهمية ثوابته في هذه المرحلة بما لم يشهد له العالم مثيلا في المراحل السابقة، ونشطت العديد من الشرائح الأبوية وغير الأبوية لتحريك الشعوب في العالم كله نحو الإسلام، بل كان للأجهزة العالمية المبثوثة دور هام في إحياء ثقافة الإنسانية وإبراز دور الإسلام العظيم في الماضي والحاضر مما جعل الكافر يستشعر خطر المرحلة ومواجهته الحقيقية للإسلام العملاق، فبدأ يكيد للإسلام والمسلمين ويعيد حساباته في علاقته بكافة الأنظمة والشعوب المسلمة ليضرب بعضها ببعض بإثارة تناقضاتها الدينية والفئوية، ويشتت قواها وجهودها من داخلها، كي لا تمتلك القرار، ولا تعرف لذة الاستقرار، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

أهمية أسانيد المدرسة الأبوية

المقصود بالأسانيد أثبات النسب المتسلسل بالعلم المأخوذ عن العلماء عبر الأزمنة المتلاحقة إلى عصر الرسالة، والعلم من حيث هذه الحيثية قسمان:

١- علم دراية، وهو العلم المأخوذ من مصادره الشرعية دراسة وقراءة دون الارتباط المسند، ويدخل فيه الاعتكاف على الكتب والمؤلفات والدراسة الأكاديمية الحديثة بكافة أشكالها .

٢- علم رواية، وهو العلم المتلقى عن علماء مدارس الإسلام المرتبط بسلاسل أخذهم الموثقة في الأثبات والمشيخات، وتندرج تحته كافة أشكال العلم التقليدي التي تشترك كلها في إجازة القراءة والسماع، وإجازة المراسلة، وإجازة التبرك، ونحوها، عن جمهور العلماء والشيوخ، بحصول الانتماء الشرعي للعلم المسند .

والقسم الأول من العلم بالأسانيد قسم مشاع يبلغ إليه بالطلب والتفقه كل من درسه وتعلمه؛ لأنه مبثوث في كتب العلم، ويكاد أن يحسن دراسته البر والفاجر .

والقسم الثاني هو المرتبط أساسا بحسن التلقي وطول الأخذ عن أهل العلم حتى يتخرج المريد أو الطالب بإجازة تبرك أو تخرج، ويكون هذا القسم حاويا لعلوم القرآن والسنة وفروعهما وعلوم الآداب والسير وعلم الطريق إلى الله وغيرها من العلوم الموروثة للخشية من الله وصدق المراقبة له ومعرفة الحقوق الشرعية والعمل على تنفيذها قدر الاستطاعة وتجنب المعاصي والآثام الظاهرة والباطنة والمجاهدة الصحيحة للترقي في مراتب الإسلام والإيمان والإحسان، طلبا لرضاء الله ورغبة في اتباع نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والتنـزه عن المعايب والمثالب والأمراض المعنوية التي حذر منها الإسلام، وهذا العلم يتلقاه الطالب عن الشيوخ رواية ودراية وعلما ظاهرا وباطنا .

وقد توسع العلماء في شأن الارتباط والانتماء بالعلوم والمعارف توسعا أبرز شرف الإسناد وميز أهل العلم الحاملين شروط الأبوة من أهل العلم، الآخذين علمهم عن الكتب والمؤلفات والمدارس المعرفية، وهذا ما نحن بصدده في هذا الكتاب المختصر .

فمدرسة الإسناد الأبوية لا زالت تحتفظ في مكتباتها الخاصة بعشرات المؤلفات ذات العلاقة بعلم الأسانيد التي تربط الأواخر بالأوائل، وإن كان جيل المدرسة الإعلامية الحديثة قد أغفل هذا الجانب إغفالا خطيرا واستعاض عن الإسناد والإجازات فيها بالشهادات العالية، وما تحمله من مسميات أجنبية، تلك الشهادات المرتبطة أساسا بالغثاء وقواعده العلمية والتعليمية،

والتي لا تدفع لحاملها شرفا أبويا ولا شرعيا، اللهم إن كان الارتباط العام بالإسلام الذي لا يختلف عليه اثنان .

وفي كتب الأسانيد الأبوية نرى كيف تواتر العمل على الأخذ والتلقي المشروع للعلوم والمعارف الشرعية في علوم المذاهب الفقهية والأصول الحديثية والصحاح والمسانيد والمرويات والسنن والحواشي والجوامع والمستدركات والأمهات والطرائق والمدونات والرسائل والمقدمات والملخصات والمعاجم وغيرها، وكيف دونت طرائق التلقي بالتواتر معنعنة إلى مصادرها الأولى، بحيث يظل العلم الشرعي محفوظا في صدور أهله، لا يصل إليه الطالب إلا بالانطراح وحسن التلقي والتتلمذ على الشيوخ، مع الأدب والانطواء، وهذا ما يميز المدرسة الأبوية عن غيرها من مدارس التعليم المعاصر .

إن أسانيد العلم التي يحملها المحدث والمفتي والقاضي والداعي والمعلم هي حجة هوية علمه الشرعي، ومن خلال النظر في تسلسل الأخذ والسند تعرف حقيقة الارتباط بتاريخ المعرفة وتسلسلها، وفيها يقول أهل العلم : (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)، واعتبر أهل العلم أن أهل الإسناد هم حملة الأمانة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «يَحْمِلُ هـٰذا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ» [1]،والعدول في هذا المعنى هم العلماء الأثبات الذين تلقوا علمهم بالإسناد، وانتهجوا منهج الاعتدال: لا إفراط ولا تفريط .

---

(١) مجمع الزوائد .

وهذه الميزة العلية هي خصوصية هذه الأمة عبر تاريخ التسلسل المعرفي للمدرسة الأبوية، وبهذه الشروط ظلت محافظة على نمط العلم المسند والتلقي المشروط، كما كان لبعض أتباع العلم المسند بعض الخروقات المخالفة لسير المنهج الأبوي، وقد تولى أهل العلم أنفسهم الرد والتبيين لمثل هذه الخروقات، حتى سقوط دولة الخلافة الإسلامية في القرن التاسع عشر الميلادي وظهور مرحلة الغثاء المعبر عنها في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

ومع حلول هذه المرحلة بدأت المزاحمة المفتعلة من أعداء الإسلام، وتهيأت الظروف الملائمة لمدارس القبض والنقض كي تهيمن على كافة شؤون العلم والمعرفة، وتسيطر على منافذ التأثير وامتلاك سلطة القرار في الحكم والعلم، وبصورة مسيسة يصعب التعرف على خطورتها إلا لمن تتبع علامات الساعة، وأدرك معنى الدجل والدجاجلة الذي حذر منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبرز سماتهم وعلاماتهم ومظاهر حياتهم في مرحلة الغثاء والوهن .

وربما احتج طالب علم متخرج من مدارس الخدمات أو حائز منها على أعلى الشهادات أن بالإمكان معرفة الإسلام والإيمان والإحسان والعلم بعلامات الساعة واحترام المدرسة الأبوية وحسن الارتباط برجالها من داخل مدارس الخدمات المشار إليها هنا بالوهن والغثاء، حيث إن بعض علماء هذه المدرسة له ارتباط وثيق من خلال الانتماء المذهبي بالمدرسة الأبوية .

والإجابة السديدة أن وجود مثل هذا العنصر ضمن مدرسة الغثاء يعتبر حالة

شاذة، ولم يرد إليه ما ورد إلا لأن له ارتباطا أبويا من جهة أسرته أو طريقته أو تربيته الذاتية، وأما الجمهور الأوسع من متخرجي مدارس الوهن فهم ضحايا البرامج المقبوضة شاؤوا أم أبوا.

ومن أبرز هذه السمات المقبوضة: نقل العلم الشرعي من الإسناد إلى ما سماه الرسول (بالرؤساء الجهال) «اِتَّخَذَ النّاسُ رُؤَساءُ - أو رُؤُوساً - جُهّالاً فسُئِلُوا فأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وأَضَلُّوا»[1]، ولا يحصل هذا الأمر في أمة تواتر فيها الإسناد وكمال التلقي إلا إذا وسد الأمر إلى غير أهله، فيحصل القبض والانقباض لدى علماء الإسناد، ويحارَبون أو يُحَجَّمُون في منازلهم، فلا يبرز منهم للناس أحد، ولا يمكن التلقي عنهم بالصورة التامة العامة، ويظهر في هذه المرحلة من سماهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «حُدَثاءُ الأَسْنانِ سُفَهاءُ الأَحلامِ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ البَرِيَّةِ، يَقْرَؤُونَ القُرآنَ لا يُجاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»[2].

فهؤلاء السفهاء الحدثاء هم مسلمون يستدلون بالكتاب والسنة ويقرؤون القرآن ويقرئونه؛ ولكنهم لا يقيمون وزنا للإسناد ولا لعلمائه، بل لا يرغبون في الانتماء إلى تسلسل السند الأبوي، بقدر ما يقفزون إلى الاحتجاج بالكتاب والسنة، فيَدَّعُون الاحتكام إليه وهم لا يمكلون سند الانتماء ولا يعترفون بتسلسل الأخذ عن العلماء والأولياء، ويستخلصون الأدلة المضلِّلة أتباعَهم

---

(١) صحيح البخاري .

(٢) صحيح مسلم .

وأشياعهم عن مسألة الانتماء الأبوي، فيقولون: (كل قول يؤخذ منه ويرد إلا قول صاحب السنة) ويقولون : (لاحكم إلا لله ولرسوله) كما كان يقول أسلافهم الذين رفعوا المصاحف في وجه الإمام علي كرم الله وجهه للكسب السياسي فقالوا: لا حكم إلا لله . ويَغُشُّون بهذا الفهم الخاطئ أجيال المسلمين المنقطعين عن أسانيد العلم وإجازات العلماء، فيوجهونهم إلى نقد مدارس السلف الأبوية ومدح مدارس الخلف الأَنَوِيّة .

والمقصود بمدارس الخلف الأنوية مدارس (الأنا) المتشبهة بإبليس في قوله: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [ص:٧٦]، فهم يعتقدون الخيرية في أنفسهم والإثم في غيرهم والعياذ بالله، وقد برزت هذه المدرسة كتيار مؤثر مع سقوط قرار الأمة وبروز قرار الكافر في العالمين العربي والإسلامي، ومن أخطر مظاهرها أنها مدارس تنبع من واقع سياسي لا من واقع شعبي، والمدارس النابعة من الواقع السياسي غالبا ما تكون مدارس نقض وقبض، خلافا للمدارس الآتية من عمق الشعوب المنبثقة من داخلها مع إجماع الأمة على سلامتها وصحة توجهها، فإنها مدارس الحق المعبرة عن شواهده وثوابته، ولا مزيد على ما ذكرناه.

مدرسة حضرموت نموذج للمدرسة الأبوية

لم يكن لحضرموت اسم يطلق عليه بين أهل الزمان كاسم (مدرسة)، وإنما كان الأمر المتعارف عليه في ماضي الزمان هو : (الطريقة العلوية الحضرمية) أو (طريقة السادة بني علوي)، وتُنمى إلى الإمام علوي بن عبيداللاه بن أحمد المهاجر، الذي بقي أبناؤه وأحفاده يحملون اسمه بعد انقراض أخويه آل بصري وآل جديد أبناء عبيداللاه بن أحمد المهاجر على رأس المئة السادسة للهجرة .

وأصل الطريقة بدأت جذورها بهجرة الإمام المهاجر في القرن الرابع، وترسخت قواعدها على يد الفقيه المقدم في القرن السابع وانتشرت في الآفاق على عهد الإمام العيدروس في القرن العاشر وما بعده، حتى عصر سقوط دولة الخلافة وتمزق الدولة الإسلامية .

وعلى هذا المسمى جاءت عبارات المؤرخين والمصنفين والشعراء وأهل التراجم والسير، وقد أفاض التناول على الطريقة وثوابتها عدد من الشيوخ الأكابر، ومنهم الإمام الشيخ علي بن أبي بكر السكران باعلوي في كتابه «البرقة المشيقة»، والشيخ الخطيب في «الجوهر الشفاف»، والشيخ محمد

علوي خرد في «غرر البهاء الضوي»، والشيخ الشّلّي في «المشرع الروي»، وعدد من المؤلفات المبسوطة التي لا غنى عنها لكل راغب في معرفة طريق القوم من آل أبي علوي، وزاد البيان عنها عدد من الشيوخ المتأخرين كالشيخ عبدالله بن أحمد باسودان في كتابه «فيض الأسرار»، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي في «عقد اليواقيت الجوهرية»، والحبيب أحمد بن زين الحبشي في شرحه للعينية وغيرهم .

وأما الحبيب الإمام عبدالله بن علوي الحداد فقد خدم كافة سبل الطريق وربطها بالكتاب والسنة، وأبرز دورها في مهمة التسليك ونشر الدعوة إلى الله.

وتكاد مؤلفات الطريقة العلوية في شتى وظائفها تزيد على المئة كتاب منها ما طبع ومنها مازال مخطوطا، وقد وثقت في هذه الكتب وسائل الطريقة ومقاصدها وقواعد البناء الأدبي والشرعي ووسائل التعبد والأوراد وبعض الأسانيد ذات الصلة بالإجازات في العلوم والأذكار وأخذ الطريق، كما أن تواتر سير الطريقة عبر الأزمنة والمراحل في سلوك الورّاث من أئمة الرجال كان له أعظم الدور والأثر في حفظها عمليا واجتماعيا، ويكاد عشرات المنتمين إلى هذه الطريقة يعرفون شيوخ الطريق على مدى الأعوام المئة الماضية من خلال الأخذ عنهم والارتباط بهم والانتماء إليهم والتبرك بهم وحضور مجالسهم وروحاتهم وزيارتهم والنظر إليهم والتعرض لنظرهم ودعائهم، تحت شاهد الحديث

النبوي: «هُمُ القَوْمُ لا يَشْقىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[1].

ونحن ولله الحمد وكثير من أهل عصرنا قد عرفنا منهم العشرات ممن حدونا بهديهم وسلوكهم وحضرنا مجالسهم وقرأنا عليهم واستفدنا من توجيهاتهم ونظراتهم وأحسسنا بمعنى الحياة الحقيقية في الانتماء إليهم والانطواء فيهم، ولهذا وبعد أن ذقنا هذا النعيم المعجل وأدركنا شرفه وفائدته حرصنا كل الحرص أن نخدم آثاره وتراثه المحفوظ ونشرح ونوجه أهل زماننا إلى سر هذا المنهج الملحوظ ؛ لأننا قد عرفنا من خلال سيرة الحياة وتقلباتها وما يدور فيها من دعوات ومناهج وجماعات ورؤى وأفكار أن الإسلام يعيش أزمة في أهله، وأن هذا الزحام المفتعل له خطره على حياة الأجيال، وأننا نحن أمة القرآن بالعموم وكل المنتمين لآل البيت بالخصوص قد دخلنا دوامة تجهيل وتدجيل واسعة الخطر، ولا يسلم منها إلا من كتب الله له الحفظ والسلامة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحِجر:٤٢].. اللهم اجعلنا منهم .

وإلا فالغالبية العظمى قد اندرجت بهم الظروف تحت مضلات الفتن والعياذ بالله، وخاصة من أبناء المدارس والجامعات والمؤسسات الدنيوية، ومنهم أرتال واسعة من آل البيت أنفسهم ممن شملهم المسخ والنسخ وأخذت بهم دنيا الضياع والنـزاع إلى نسيان تاريخ الآباء وإهمال آدابهم وأخلاقياتهم، واشتغلوا بما أثمرته لهم وسائل الإعلام ومطبوعات الأزلام والأفلام .

---

(١) صحيح مسلم .

وهذه حقيقة زماننا الذي أخذنا على عاتقنا النظر في شأنه وربطه بتاريخ وطريقة السلف، والمهمة شاقة وشاقة جدا، ولكن (اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا) .

ومما سهله الله لنا والحمد له والمنة تناول الحديث والكتابة عن طريق سادتنا الأكارم، وهم رجالنا وأئمتنا، ولا بديل عن منهجهم وطريقتهم ذات الصلة الوثيقة بالأصول الثابتة، ولهذا استخرنا الله وسألناه التوفيق لخدمة هذه الطريق على أساس ربطها وربط أتباعها وأبنائها بالمنهج الأساس منهج سيد الناس، حيث إن الطريقة بلا شك معبرة عن معنى الاقتداء بالمتبوع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومسندة إليه؛ ولكن أهل زماننا قد حشيت أذهانهم بمفاهيم أخرى زعزعت ثوابت الكثرة الكاثرة، وفتحت لهم بابا واسعا من الشك في الطريقة، حيث نـزعوا بهم إلى الكلام المباشر عن الكتاب والسنة والأخذ بهما، ولم يميز الأحداث شأن ارتباط الطريقة ذاتها بالكتاب والسنة ؛ لأنهم قد فصلوا عنها بالتعليم المدرسي، وابتعدوا عنها في المنـزل والمسجد والإعلام، وفي بعض الأحوال سمعوا من بعض المنسوبين للعلم ما يفكك عرى الارتباط بين الأبناء ومنهج أسلافهم، فعميت عليهم الأمور، وانطلقوا في الواقع المسعور، يقذفون آباءهم وأسلافهم بما لم ينـزل به الله من سلطان، ووصل الأمر إلى حرق مؤلفات السلف التي سبقت الإشارة إلى بعضها، ونظر العشرات إليها بأنها كتب غير معتبرة عند أهل العلم الشرعي.

ومثل هذا البهتان كثير في الواقع المستطير، وقد عايشنا وجالسنا عشرات القائلين بهذا الإفك، وطال الأخذ والرد، فمنهم من هدى الله ومنهم من ظل متشبثا برأيه.

ووجدنا أنفسنا في عصرنا هذا نواجه مسؤولية الإفصاح عن جلية الأمر وحقيقته، فكان أن وجدنا الإشارة من شيوخنا الأفاضل، ونـزلنا ساحة الخدمة للإسلام كله ونحن على غاية الخوف من الله والوجل، آملين السداد والتوفيق، وراغبين في الوئام والرشاد، لا مبدلين ولا محرفين ؛ ولكنا مجددون لوسائل الإفهام، وراغبون في بسط ثوابت هذه الطريق بين طرق الإسلام، بمدلول يتناسب مع تحولات الأزمنة، ويتجاوز محدوديات الأمكنة، كما هو حقيقة حال الطريقة بعد انتشارها وانتقال أثرها إلى بلاد العالم على أيدي أئمتها ورجالها، فوجدناها قد صارت بهذا الانتشار مدرسة مع كونها أيضا طريقة، ولكل كلمة مدلول، ومن مدلولات الطريقة أخذ وسائل الطريق إلى الله من أوراد وأذكار وصلوات على الرسول وأوليات الأسانيد في العلوم الشرعية وسلامة الارتباط بين المريد والشيخ، والانطواء الروحي المفضي إلى حقائق التسليم والترقي، وهذا هو أول مدلول الطريقة .

أما لفظة المدرسة فهو حصول ما تقدم من ثوابت الطريقة مع كثرة الاعتناء بالعلم والدعوة إلى الله واتساع الأخذ والتلقي في العلوم المتنوعة، ونقل حصيلة هذه المعرفة والسلوك كرؤية شرعية علمية عملية تعالج شؤون الذات والحياة،

وتخرج من طور بناء الفرد لنفسه إلى بناء المجتمع، وتلبية حاجة الناس لنصاعة الإسلام وآدابه، وخوض معركة التصحيح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ويتسع مدلول المدرسة باتساع وعي الفرد ذاته ومستوى إدراكه لمسميات المدرسة ووظائفها .

وهذا المسمى ليس جديدا في حقيقته بل كانت مدرسة حضرموت قائمة به ضمناً تحت مسمى «الطريقة»، وكان لها صفة الانتشار كمدرسة في أنحاء كثيرة من العالم من خلال الأفراد الذين كان أحدهم يمثل معنى «مدرسة» كما هو في مدلول كلمة «أمة» ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل:١٢٠] .

ولهذا بدأنا نتناول الحديث عن مدرسة حضرموت، مخاطبين الجيل المعاصر فقط، آملين أن نوصل إليهم شرف الانتماء الشرعي بوعي وثبات، بديلا عن الهمس الخفي والبهت والتزييف لحقائق الرجولة في الرجال، وتأكيدا واعيا بتفرد مدرسة حضرموت المسندة عن كافة المدارس المعاصرة وغير المعاصرة، سواء كانت صوفية أو مذهبية أو منتمية لآل البيت كالإمامية والزيدية وغيرها.

فمدرسة حضرموت المشار إليها تجمعها مع مدارس الإسلام قواسم مشتركة؛ ولكنها لا تذوب في أي منها، ولا يصح بأي حال من الأحوال أن

يتجرأ أحد على إضافتها لأي مدرسة معينة من مدارس البلاد الإسلامية، كما هو الحال لدى رجال المدارس الأخرى، الذين لا يرغبون أن يذوبوا أو ينطووا تحت أي مسمى من مسميات المدارس الإسلامية، ويميزون أنفسهم بمسمى معين يفردهم عن غيرهم كالزيدية والإمامية والإباضية والحنبلية والشافعية والحنفية والمالكية وغيرها من المذاهب الفقهية ، وكذلك بالنسبة للمدارس الذوقية ذات الارتباط بأحد المذاهب الفقهية المشار إليها، فمدرسة حضرموت اتخذت لها طريقا واضحا في كافة سيرها الفقهي والعقائدي والصوفي، ومع هذا وذاك فهي تلتقي كما أشرنا سلفا مع كافة المدارس الإسلامية من خلال قواسم الإسلام المشتركة على غير إفراط ولا تفريط، وتتفرد أيضا في بعض خصوصياتها حتى عن ذات المناهج المرتبطة بها عالميا، وخاصة في السكوت عما جرى بين الصحابة وعدم سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكسر السيف وتجاوز بعض التقاليد الصوفية المعتادة لدى الطرق الأخرى، والاعتناء الكامل بمنهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبناء الأربطة ودور العلم الشرعي إلى غير ذلك من تفردات وخصوصيات مدرسة حضرموت التي توجد تفاصيلها في مؤلفات السلف وتراجمهم .

عالمية مدرسة حضرموت

المدرسة العالمية في التعريف هي : الثوابت العلمية والعملية الصالحة فكرا وتطبيقا لأكثر من مرحلة، ولا تنحصر في بلد أو عائلة أو أتباع يجمعهم زمان معين أو مكان معين، وعالمية مدرسة حضرموت نابعة من قواعد تكوينها ومواقف رجالها الأثبات عبر المراحل المتكونة:

المرحلة الأولى :

قرار الإمام المهاجر بالهجرة من أرض الرافدين حاملا رؤية المدرسة الأساسية، وهي الارتقاء فوق التعصب الطائفي والمذهبي، والأخذ في معالجة المتناقضات بمبدأ القواسم المشتركة، ولهذا انتقل المهاجر بهذا المبدأ من بلد إلى بلد باحثا عن المنطقة الأقل تأثرا بالصراع المذهبي والطائفي والسياسي، وكان أول تحركه في حواشي المنطقة لتحاشي التصادم المباشر مع مواقع القرار، وجس نبض الفئات المتنازعة، واتخاذ قرار حاسم يجمع الكل . وكان أول أسباب نجاحه إقامة مبدأ التوازن الفكري بين الجميع، وتنفيذ سياسة التعايش السلمي

مع فتح المشاريع الاقتصادية ومعالجة مشكلة الفاقة والفقر من خلال احتواء العدد الأوسع من الناس في خدمة المشاريع، واستخدام مميزات الخلق الحسن، والارتقاء بمسألة الصلات العرقية عن سيادة العائلة إلى سيادة المدرسة التي انطوى تحتها كافة العناصر.

المرحلة الثانية :

قرار الفقيه المقدم القاضي بكسر السيف كشعار دائم للتعايش مع كافة قبائل المنطقة بالعلم ونشره، ومعالجة الأمور بالحكمة والموعظة الحسنة.

وكان القرار في بداية أمره لا يتجاوز الفقيه المقدم وآل بيته فقط، ولكن الفئات الاجتماعية رَحّبت بالقرار وانطوت فيه وسارت خلال سنوات قلة على منهج الفقيه المقدم، الذي انتشر بوادي حضرموت، وأيّده الشيخ سعيد بن عيسى العمودي كمعالجة مناسبة للزمان آنذاك .

قرار الفقيه المقدم باتخاذ طريق الفقر إلى الله والارتباط بالسند العالمي للطريقة الشعيبية المغربية، كمعادل قوي أمام بقية الطرائق المنتشرة في اليمن والعالم، وكموقف وقائي لحفظ التوازن الفكري والاجتماعي لمدرسة حضرموت ذات التفرد النوعي حتى عن الطريقة الشعيبية المغربية، مما يؤكد أن ارتباط الفقيه بالطريقة الشعيبية كان موقفا وليست انطواء في مدرسة معينة، والمقصود

بالموقف اتخاذ سند عالمي يدافع عن هوية المدرسة إعلاميا أمام منافسيها وأمام رافضي فكرة الأخذ بمبدأ التصوف، حيث نجد أن الشيخ علي بامروان شيخ الفقيه المقدم كان أول المعارضين لفكرة الأخذ بالتصوف، واعترض بقوة على تلميذه الفقيه إلا أن الفقيه الذي كان موقفه ضرورة فكرية لابد منها قال له : الفقر فخري وبه أفتخر، وبه على النفس والشيطان أنتصر، ولا أتباعد عنكم إعراضا، ولا تبدلت بكم معتاضا . اهـ[1].

وخلال سنوات قلائل تحولت حضرموت كلها إلى منهج الفقيه المقدم، وأخذ دور المدرسة الأبوية يتنامى ويزداد في داخل مجتمع حضرموت .

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة الانتشار والانتقال من حضرموت إلى أفجاج المعمورة، حاملة معها ثوابتها الروحية والعلمية والتربوية، وفي هذه المرحلة اتخذت المدرسة قالبين أساسين :

١- بروز المظاهر الصوفية، والاهتمام بقواعد السلوك والمجاهدة في التعبد، والاستفادة من مصنفات الإمام الغزالي وغيره، وانتشار السماع والانفعال الذوقي .

---

(١) المشرع الروي .

٢- ظهور المريدين والأتباع المتأثرين بالمدرسة، وبدء انتقال آثارها إلى أفجاج اليمن ثم العالم .

وقد سارت هذه المدرسة الأبوية بعد هذه المرحلة سيرا حثيثا في مبدأ نشر الدعوة إلى الله، وتكوّن لها وبها مكان مرموق في المراحل الماضية واللاحقة.

ولم تزل كذلك حتى عهد سقوط دولة الخلافة وبدء مرحلة الاستعمار، وهنا بدأت مرحلة الغثاء التي أثَّرت على المدرسة الإسلامية العالمية، كما أثرت على سير المدارس الأبوية المتنوعة، وبدأت مرحلة الضعف والانهيار والانطواء.. مرحلة بروز علامات الساعة في مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والتربوية والثقافية والإعلامية.. وبقي بصيص من أمل في نماذج معينة كان منها كما ذكرنا سلفا مدرسة حضرموت في داخل المنطقة وفي المهاجر والبلاد التي انتقلت إليها بواسطة الأشياخ والعلماء .

موقع المناقب في المدرسة الأبوية

لم تكن قضيتنا في أساسها خلال مرحلتنا المعاصرة هي مسألة المناقب والحديث عنها، بل ولا حتى نرى أن الاشتغال بها سلبا أو إيجابا سيعالج مهمتنا الصعبة في الواقع الإسلامي؛ ولكن هناك عوامل معينة ألزمت القلم أن يعرج على هذه المسألة لسد ثغرة خطيرة، أراد البعض أن ينفذ من خلالها لضرب المكاسب الدعوية والفكرية والتربوية والتعليمية، التي عنيت بها المدرسة الأبوية عبر تاريخها .

ونعتقد أن وقوفنا أمام هذه الثغرة وسدّ ملابساتها سيسهم إلى حد كبير في تحديد مهامّنا المستقبلية جميعا، وإعطاء العقول المضطربة موقعها الثابت من مساحة الحركة الفكرية المعاصرة سواء داخل مدرستنا الإقليمية أو ضمن مدرسة الإسلام العالمية، لأننا نشعر بيقين أن عشرات العقول المفيدة لا زالت خارج دائرة الحركة الإيجابية النافعة.. وذلك عائد لأسباب متنوعة، جزء منها ذاتي يخص أصحاب هذه العقول والسياجات النفسية والاجتماعية المحيطة بها، وبعض هذه الأسباب كثافات وإفرازات وتصورات طرحتها مفاهيم الواقع المتناقض عن مسائل معينة، صنعت منها الظروف الفكرية المعاصرة مسألةَ نقد وثلب ونقائص .

ويعتقد العقلاء وطلاب العلم الخارجون عن دائرة الحركة أنها عين المشكلة المؤدية إلى الفشل الذريع في معالجة الواقع وعدم الارتقاء إلى مستوى الإسلام الصحيح، حتى صارت هذه القضايا في عديد من المجالس واللقاءات مادة الهوان الفكري التي يراها البعض أو وسيلة التفجيرات المعرفية لكل من يتحدث عن المدرسة الأبوية المتوارثة في مرحلتنا المعاصرة بعمومها، ولطول مدة الصمت عن هذه المسألة ظن المتكلمون ضدها والمتحدثون عن سلبياتها أنها أمُّ المسائل التي يجب معالجتها والوقوف عندها، وهي من وجهة نظرنا مجرد سوء فهم وترسب فكري معين تعمق بفعل ظروف نفسية وسياسية واجتماعية حتى صار عقدة مركبة هذه العقدة ليس من الصعوبة تجاوزها وفك حزمها المتداخلة، بل هي سهلة المأتى وقريبة المعالجة، ولهذا رغبنا هنا أن نتناولها بشيء من التمهيد المطول، لنصل إلى الهدف بتريث وتمهل.

إن حرصنا على الاستفادة من كلّ عقل مفيد ونافع، ووضعه في موقعه الصحيح من محاور الحركة الفكرية محلية وعالمية ؛ هو أكبر هَمّاً وانشغالاً من مسألة المقارعة والمحاجة حول مسائل فرعية، وقضايا جانبية يطول فيها الأخذ والرد، ويتحوصل حولها وخلالها السلبيون والإيجابيون ليقيموا معارك لا منتصر فيها؛ ولكنا كما ذكرنا سلفا أننا ربما توقفنا في مؤخرة الحركة عند ثغرة معينة وإن كانت صغيرة وبسيطة، لئلا ينفذ من خلالها المتربصون بمسيرة العمل الدعوي والتربوي والتعليمي والروحي المعاصر في مدرستنا الأبوية المباركة.

فمدرستنا في حاجة ماسة إلى جهود متضافرة لإعطائها موقع الحركة المناسبة، وإخراجها من دائرة الأسلاك الشائكة التي نسجتها المراحل المتلاحقة حولها وحول أتباعها.

وموقع الحركة الذي نتحدث عنه هو ما يسمى بإعادة ترتيب الواقع المعرفي، ووسائل تربية الأجيال المعاصرة الغارقة في أتون الانحرافات والخرافات، والتصورات العلمانية والشيوعية، والتهيؤات التوليفية الآتية من هذه المنابر، حيث إن الواقع المعرفي قد استولت على منافذ التأثير فيه تشكيلات جديدة عملت من خلال هذه المنافذ على تعتيم الرؤية ضد مناهج المدارس التقليدية، حتى صار التحدث عنها أو بلسانها ظلاما وإظلاما، مما زاد الطين بلة كما يقولون.

ولسنا نحن المعنيين أدبيا بهذه المسألة، ولكنا نشعر أننا نحمل جزءا من المسؤولية، ونتحرك من داخل هذه الجزئية، ونعيد ترتيب أنفسنا وترتيب مفاهيم غيرنا ليفهمنا الناس لَبِنَةً في البناء القاعدي للإسلام العالمي، وعمودا في سقف المعرفة الإسلامية عموما وخصوصا، برغم ما يفعله ويدفع به الآخرون لنزع بساط أثر التسلسل التاريخي والسند الأبوي المشروع، وذلك من خلال التشويه المتعمد، والتركيز المقصود على السلبيات والمتناقضات الداخلة تحت طرفي الإفراط أو التفريط، للوصول من خلالها إلى هدم بنيان المدرسة الأبوية، وشل فاعليتها تماما .

وإذا كان في مدرستنا الأبوية وما شابهها من مدارس المسلمين القديمة من رضي لنفسه الخمول والانهزامية، وتقوقع على نفسه راضيا بتحمل صرخات الأضداد وضربات المطارق، معتقداً أن العصر قد انقطع منه الأمل في الانتصار، فإننا نعتقد والله أعلم أن الإحباط لدى البعض لا يفسد الأمل لدى آخرين، وأن الآية القرآنية ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠] تؤكد عودة الدورة الكونية مرة بعد مرة إذا اجتمعت الشروط، ولابد لها أن تجتمع، فالأمر أمر المُكوِّن.. لا أمرُ المتكوِّن.. بلا شك ولا ريب .

إن المدرسة التي يحكم عليها البعض بالفشل، تستطيع من خلال إعادة ترتيب ثوابتها الشرعية وتحديث وسائلها أن تحيا من جديد، وتستلهم مواقع الحركة والتأثير من داخلها، بشرط إحياء ثوابتها الشرعية ذات الاتصال المسند بالإسلام ذاته لتبرز حقيقة الفشل لدى الآخرين .

وهذا ما يخص (العقول المعاصرة) التي اشتغل الكثيرون منهم بالبحث عن المعايب والهفوات وتحويلها إلى لبانة يومية يمضغونها في المجالس واللقاءات يستهدفون بها بعضهم البعض، ولا يخرجون عنها إلى دائرة التضافر المشترك لعمل ما يمكن عمله لإصلاح هذه النواقض وسد ثغراتها في الواقع المعاصر .

ونرغب هنا أن نبدأ معالجتنا لهذه السلبيات بالزج بهذه العقول إلى موقع الحركة من خلال مناقشات متنوعة بدأتْ بهذه المقدمة، ومنها إلى عناوين محددة يصعب الحديث عنها في المجالس العامة ويمكن تناولها داخل هذه الملاحظات

الذاتية، لنرى من خلالها أين يقف الجميع من المعالجات، ومَن هو الباحث عن البناء من خلال سد الثغرات، ومن هم الباحثون عن الهدم من خلال التحوصل عند المتناقضات، وتحويلها إلى قضايا ومهمات ؟..

وأيدينا مبسوطة كل البسط لإخواننا داخل المدرسة وخارجها، لنتجاوز المثالب والمعايب في كافة أجنحة الحركة سلفية وصوفية وحزبية وتوليفية ومذهبية، والشجاعة كل الشجاعة في نـزولنا معا إلى ميدان التغيير والحركة على غير إفراط وتفريط .

المناقب الأبوية وموقعها من كتاب الله وسنة رسوله

لا يكاد المتابع لكتاب الله تعالى تدبرا ومتابعة للمعاني والمواضيع النصية فيه إلا ويجد للمناقب مساحة كبيرة وسجلا حافلا بالأخبار والحكايات والمواقف ذات الصلة المباشرة بواقع الحركة التي يعيش فيها المرء المتحدث عن أحواله ومناقبه .

وقاعدة المناقب في القرآن متفاوتة التناول على حسب الشخصية المتناولة ذاتها، وقد تستغرق هذه المسألة عشرات الآيات وحينا سورة كاملة، كما هو في سورة يوسف عليه السلام، وقد تتكرر مسألة عرض المناقب في أكثر من سورة وتقديم المواقف المتناولة في كل مرة بأسلوب وعرض جديد كما هو في قصة موسى عليه السلام، وقد يكون العرض سردا قصصيا للأحداث التي تحمل مناقب الإنسان المشار إليه، وحينا يكون العرض بلسان الإنسان نفسه كما هو في حديث عيسى عن نفسه وهو في المهد، وحديث إبراهيم مع أبيه، والقرآن قدوة وأسوة بلا شك .

ونحن لا نقفز على الحقائق فنشابه الأولياء والصالحين في سرد مناقبهم بالأنبياء

أو بالسرد القرآني عن الأنبياء المعصومين، وإنما نحن بصدد الاستدلال على مشروعية المناقب وتناول حياة المؤّثرين في الواقع العلمي والدعوي بشروط معلومة وثابتة، قد يلتزمها البعض وقد يتجاوزها البعض الآخر، والسلامة كل السلامة في التوسط .

والقرآن لا يقف عند سرد مناقب الأنبياء وحْدهم، بل نجده يبسط الحديث عن غير الأنبياء من العلماء وأتباع الرسل ولو كان سرد المناقب غير مفيد ولا مجديا في الحياة كقاعدة عامة لما كان هناك حاجة لسرد المناقب في القرآن عن مريم وأمها حنّا، وعن مؤمن آل فرعون وآسية بنت عمران، وغير هولاء من صالحي الأمم؛ ولكن مناقب هولاء صارت قرآنا يتعبد ويتلى ويستفاد من عبره ومواقفه .

ومثلها أحاديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وكتب السنن والمسانيد والصحاح، ففيها تبويبات كثيرة ومفردة لمناقب الرجال، بل صارت مسألة الجرح والتعديل جزءا من علم الحديث وهي تحوم حول مناقب العدول ومثالب المنقول منهم.

والمناقب بعمومها إذا أُخذت كأصل في السنة والتشريع نجدها أصلا من أصول العلم المسند في حياة التشريع الإسلامي كله، ومن هذا الباب اعتنى كل أهل منهج ومدرسة بمناقب شيوخ التلقي والإسناد في هذه المدرسة وتلك .

فالمناقب وسردها من حيثيات مشروعيتها لا خلاف عليها، وتتحوصل المشكلة لدى المنتقدين للمناقب وعرضها في كونها تخرج في الغالب عن دائرة الاعتدال إلى نماذج الإفراط في التناول والمديح والتقديس والاعتقاد في الرجال اعتقادا قد يبلغ بالأمر إلى تجاوز حدود الشريعة وضوابطها كما يتوهمون .

وهذه هي مسألتنا المهمة ومحورنا، وإن كنا قد أشرنا إلى هذا الموضوع في كتابنا «شروط الاتصاف لمن يريد مطالعة كتب الأسلاف كالمشرع والغرر والجوهر الشفاف »، ونوصي الراغب في المتابعة والمناقشة أن يقف عليه للملاحظة .

والمعلوم أن الإفراط في التناول لا يعني إيقاف تصنيف الكتب في المناقب، بل تجمع الأمة على ضرورة استمرار المناقب وذكر محاسن الموتى لحديث: «أَنْتُمْ شُهَدَاءُ ٱللهِ فِي الأَرْضِ»[1]، ولنا وقفة مع هذا الحديث فالكلام عن الشهادة كانت في مناسبة الجنازة، أي: الكلام عن الموتى، والحديث معلوم في الصحيح، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَنْتُمْ شُهَدَاءُ ٱللهِ فِي الأَرْضِ» تقتضي أمورا كثيرة، أهمها أن الشهادة من القوم كانت على قاعدة الاتباع لرسول الله والسير على خُطى الصالحين، ولذلك أثنوا عليها خيرا . والثانية كون الثناء بالخير وبالشر من أهل المعاصرة والمعايشة الذين عُرفوا بالملازمة لسلوك الرجلين، فأثنوا على الأول خيرا وعلى الثاني شرا . والثالثة أن الثناء بالخير وارد وأصدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه حكما مصيريا، وهذا لا يملكه أحد غيره

(١) أخرجه البخاري عن رواية أنس بن مالك .

صلى الله عليه وآله وسلم، وهي قوله: «وَجَبَتْ» أي: الجنة في المشهود له بالخير، والنار في المشهود عليه بالشر .

ويحوم الحديث عند التقييم والانتقاد لمسألة الأسلوب والعرض والتجاوز في ذكر الشطحات والكرامات والغلو في الاعتقادات، وهذه مسألة لها حلول، ومن أهم الحلول أن يتفهم المنتقد ضوابطَ الإفراط والتفريط من داخل الشريعة، وليست تقديرات العقل الانساني، فهناك انفعالات كونية ويقينيات إيمانية لا تحكم بالفهم البشري ولا بالعقلانية وحدها، بل ولا حتى بالعلم النظري الإنساني، بقدر ما تندرج تحت معاني الإيمان المطلق بقدرة الله تعالى وما يمنحه لعباده الصالحين، وأن الكرامة وانفعال الظواهر الكونية بأمره تعالى، وتصبح هذه القضية ليست إفراطا بل جزءاً من العلم الشرعي الذي يجب الايمان به وبحصوله لمن اختاره الله تعالى وهيأه لذلك، وتقف المشكلة فقط عند توثيق الكرامة وصدق حصولها .

والمتحرجون من ذكر المناقب على غير ضوابط إنما ينطلقون من إحدى عقد النقيضين: الإفراط أو التفريط المذمومين، والمندفعون للمناقب على علاتها ودون ثوابت وضوابط لما يرد فيها هم أيضا على نفس النمط من الإفراط والتفريط المذمومين وإن كان دافع البعض حسن الظن .

والواقع وتخبطاته وكثرة المتقولين والمتمولين فيه حول هذه المسائل لا يفسد قضية المناقب وتناولها أساسا، فالمفرطون في كل شيء أضاعوا لُب الشريعة

ومقاصدها في العباد، والمفرّطون علْمنوا الدين وحصروه في قوانين الحركة الظاهرة وعبدوا مادية العقل وفهومه القاصرة . والاعتدال بين الطرفين هو منهج السلامة، ولمنهج السلامة أدب وحسن خلق مع النقيضين .

وإذا نحن نظرنا إلى الواقع - وهو موقع الحركة وميزان القياس للعقول والفهوم والوهوم المتأثرة سلبا وإيجابا بقاعدتي الإفراط والتفريط- فإننا سنجد الوسطية منعدمة في هياكل الحياة الدينية والدنوية حتى في أكثر مؤسسات المسلمين حديثا عن الاعتدال والتوسط ورفض الغلو .

وهنا يجد العاقل -والعاقل فقط- نفسه في حاجة إلى مخاطبة الأطراف كلها في المرحلة، فلا خير في رجحان الباطل على مثله، ولا فائدة في مجاوزة أهل الحق لنصرة أهل الباطل لكثرة أهله، ولسان المرحلة وواقع الحركة وتضافر العقول المتحركة يلزمنا جميعا وقفة جادة ولكن ليس لتلبية مطالب الرافضين للمناقب، ولا للراغبين في الإغراق الوجداني من داخلها، وإنما لطرح قضية المناقب كواحدة من مواضيع الاعتدال وسلامة التناول ؛ لتتحول المناقب إلى لبنة تربط بين الحاضر المتفاعل والمستقبل المتفائل، كما ربط القرآن والسنة بين ماضي التاريخ وحاضر المرحلة ومستقبل التحول .

أليست أخبار أبي زرع في صحيح البخاري مناقبَ ؟ ثم هي لمن ؟ أكانت لأنبياء أو لأولياء بل هي لنسوة يصفون أزواجهن ليس إلا...!!!

ثم ألسنا في مرحلة الإفراط والتفريط نشهد المديح والإفراط فيه على أجهزة الإعلام والأفلام باسم الإسلام لمن لا يستحق ؟!

ومن ذات الألسنة والمواقع نسمع التهم والرفض لمناقب الصالحين عمدا أو ذكر آثارهم وأخبارهم، وهم ممن يجب أن يوصف ويستحق.

ويجب بعد هذا كله أن نختصر المسافة ونبحث في المهم..

والمهم من وجهة نظرنا غير هذا، وإن كان من وجهة نظر الغارقين والمستغرقين في العيش على حساب الآخرين مهما جدا ؛ لأن من يبحث عن الإسلام يجب أن يشتغل به، وسينهج الكل منهجه طوعا أو كرها .

وأما من يتحدث عن الإسلام ولم يشتغل به ولا بنشر محاسنه والتأثير به في محور الواقع تأثيرا يتناسب مع الإسلام ذاته فجدير به أن يشغل الناس بالطعن في فضائل ومحاسن الموتى، أو أن يشتغل بامتداح بمن يشتغل بهم من أكلة القصعة، وتلك فريسة سهلة للأكل في الحياة الدنيا، ولكن غصتها مُهْلِكَةٌ جدا في عالم الآخرة.. فهل من مستفيق ؟!

المدرسة الأبوية مدرسة عالمية وليست إقليمية

كانت رسالة الإسلام في أساسها دعوة علم عالمية، واخترقت بعالميتها حدود الزمان والمكان حتى غيرت كل شيء، بدءا بمساحة العقل والذهن والوجدان وحتى الحدود والمناطق والبلدان، وتحرك السلف الصالح منذ الوهلة الأولى لتجسيد شعار ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف:١٢٨]، وهي الدعوة المضادة للمبدأ المسيلمي القائل: (الأرض نصفها لي ونصفها لك).

ومن هذا المبدأ الذي رسمه الإسلام برزت مسألة العالمية، ومن المبدأ الثاني الذي رسمه الكذاب برزت مسألة الإقليمية.

ولو تأملنا يقينا في مبادئ الكذاب والكافر اليوم لوجدناها قد ملأت العالم وطبقت عليه قانونها السلبي، وهي التجزئة والانقسام في القرار، والنظرة الإقليمية لمسألة المواطنة والحصار الاقتصادي وغيرها، وتسمى اليوم بالعولمة والعلمنة.

وأما مبادئ الإسلام من عالميته في الفكر إلى عالميته في القرار إلى عالميته في

الحدود الأرضية إلى عالميته في المعالجة فلا يوجد لها موقع ولا مدرسة ولا مؤسسة ولا جهاز إعلامي ولا شعب إسلامي، اللهم إن كان هناك من الأفراد في الشعوب من يعلم بذلك ولا يمتلك الإعلان به .

والتجزئة والمواطنة وداء العرقية وما شابهها من أمراض الجاهلية الأولى هي عين التطبيق الفعلي المعاصر للجاهلية الحديثة . وليس هذا في مواقع الكفر والكافر بل حتى في أساليب المدرسة الحديثة إسلامية موجهة وإعلامية مبرمجة.

ويعزى كل انحراف حَلَّ بالفكر الانساني في عالم الإسلام والمسلمين إلى غلبة التأثير المبرمج على الاجيال المخدوعة تحت المظلة الجاهلية الحديثة .

والعلماء والفقهاء والمحدثون والأصوليون والنُّحاة واللغويون كثيرون في مجموع العالم الإسلامي، ولهم صولة وجولة في صفوف العلم وبناء المعرفة، ولكن كثيرا منهم لا يمتلكون باسم الإسلام قرارا ولا يتخذون موقفا ولا يشاركون في صنعه، وإنما هم جزء من ديناميكية الحركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ذات العلاقة الفعلية بالعولمة والعلمنة اليوم، وقد كانت بالأمس جزءاً من سيادة العلمانية والشيوعية والتوليفية الاستسلامية . وداخل هذه (البوتقات) التي يتعلمون منها وفيها يعلّمون هم مستغرقون جدا في قراءة وتحقيق وحفظ وشرح النصوص العلمية المتوارثة، وبها يفتون وعليها يصنفون ويكتبون، أو لأجلها يبكون ويتباكون .

وهم لا يرون من الجيل المعاصر اهتماما ولا التفاتا للعلم الذي احتضنوه وخدموه وأبدعوا في فرعياته ودقائقه، ويزداد حنقهم وهم يشهدون جيلا جديدا أخرجته مرحلة الصحوة من غفلة ضاربة إلى مدارك جديدة انطلقت به في البحث عن الذات من خلال الانتشار الأفقي والدعوة إلى الله واستجلاب المجموع الأوسع من الناس إلى حضرة التفاهم والتقارب والتحابب، مع ضعف في علم الفقه والحديث والتفسير واللغة والأصول وغيرها .

ومع علمنا أن هذه العلوم مهمة جدا جدا إذا نحن نظرنا إليها من حيثيات (ما هو واجب علمه ومعرفته) ؛ ولكن لا يراها الجيل ذاته من حيث إنها واجبة العلم والمعرفة ؛ لأنه جيل يرى نقيضين في الواقع :

الأول : هجمة شرسة على الإسلام والتاريخ والمدرسة الأبوية، لمحاولة تصويرها بالتخلف والجهل، مع سحب البساط من تحتها بوسائل حديثة ومتطورة .

الثاني : برود مصطنع في منسوبي المدرسة الأبوية فقها وحديثا وأصولا وتفسيرا ..إلخ، وتقوقعهم داخل المدن والعواصم، ورضاهم بالتحلق على مدى الساعة والساعتين لمطالعة الكتب وقراءتها في مجالس عامة لا يتخرج منها فقيه ولا طالب علم بإجازة.

ومن هذه العقدة برزت حاجة الواقع الملحة إلى نماذج أكثر حركية وتأثيرا

لقراءة الفقه والحديث والأصول، ولكن لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من طوفان المعركة المعرفية المعاصرة في مرحلة الجاهلية الحديثة.

والاهتمام بالعلوم وتفصيلها ودقائقها لابد أن يبرز في مرحلة لاحقة، وقد برز، وظواهر هذا البروز واضح في تخرج العديد من شباب العلم على مستوى جيد من التعليم الشرعي والنظري، وخاصة في حضرموت واليمن.

إن الانفعالات بين أتباع المدرسة الواحدة لا تفيد سوى الأضداد، وخير للأتباع أن يتعلموا ما هو معنى النّدية ومعنى الضّدية ومعنى العدو.. فقد خلط المتأخرون بين هذه التعاريف وأقاموا عليها المواقف والأحكام فتخبطوا خبط عشواء.. فالنِّدِّيَّة معناها التساوي في الهدف والغاية والمصير، كما هي أيضا التساوي في المقام والمرتبة والمنفعة، والأنداد في مدرسة حضرموت لا يعالجون القضية العالمية ولا المحلية من هذه الندية أبدا .

والأنداد في مدارس الإعلام المحلية والعالمية هم حصيلة تراكمات كمية صنعتها ظروف الواقع، وصارت جزءا منه ومعبرة عنه ومتفاعلة فيه ومعه، فهم لا يدركون حقيقة ما هم فيه ولا ما يجب أن يكونوا عليه.

وأما الضِّدِّيَّة فهي العمل المعاكس داخل إطار خارجي واحد.. فالمعلوم أن المسلمين تجمعهم داخل إطار الإسلام قواعد إسلامية مشتركة تسمى القواسم، وإذا سقطت دائرة العمل ضمن القواسم بدأت الضِّدِّيَّة، والضِّدِّيَّة صراع في

هذا المعنى بين أهل القواسم المشتركة، والصراع طمع وبغي يُخرج أهل الملة عن مدلولات أصول دعوتهم العالمية، التي تجمع بين الأضداد، وتوحد الأنداد .

وحيثما رأيتَ الضِّدِّيَّة قد برزت بين مذهبين أو مدرستين فاعلم أن الطبعَ رائد هاتين الدعوتين والدمارَ نهاية الأتباع، وكلاهما مطية العدو لتعميق الصراع .

وأما العدو فهو المخالف للرؤية أساسا في الاعتقاد والرؤية والهدف والمصير والمبادئ، وعدونا جميعا هو الكافر والكفر، والكافر له مع المسلمين ضوابط يتم من خلالها التعامل معه، وأما الكفر فلا .

وإذا كان الكفر بمبادئه هو رائد الحركة في سياسة العدو الكافر ؛ فإن العداوة بارزة كل البروز بين العنصرين المسلم والكافر .

أما إذا كان الإسلام بمبادئه هو رائد الحركة في سياسة المسلم ومن يليه من الكفار ؛ فإن العدل والقسط في طرفي الإفراط والتفريط يَظلان هما الأساس.

مدرسة حضرموت الأبوية بين الدعوة إلى الذات ومرحلة المؤسسات

لسنا في تحديد الكلام عن مدرسة حضرموت بالذات، وإنما نحن في سبيبل النظر من خلال حاجة المرحلة إلى مدرسة حضرموت، ومدرسة حضرموت لم تخدم فكريا من هذه الحيثية كمدرسة أصلا؛ ولكنها خدمت عبر الأجيال والتقلبات من حيث الطريقة.

ولهذا يتلعثم كثير من المنتمين إلى هذه الطريقة عندما يتناولون المواقف الفكرية أو ما يسمعونه من الأضداد عن تراث الطريقة ورجالها.

والطريقة كانت ولا زالت ناجحة في اختراق الواقع والتأثير على شرائح كثيرة فيه ؛ لأنها مخاطبة للروح والوجدان ؛ ولكن كثيرا من حملة الأقلام وضحايا الإعلام هم أيضا في حاجة للطريقة ؛ ولكنهم متوقفون عند إشكالاتها وما يسمعونه من أضدادها .

والأضداد لو حصرنا هوياتهم بتمعن لوجدنا أن الأسلحة المستخدمة ضد الطريقة أو حتى ضد الطرق كلها هي أسلحة مؤسسات لا أسلحة أفراد، وهذا

هو سر نجاح الهجمة المعاصرة، وخاصة أن المؤسسات هي كتل وهمية تتحدث دائما باسم الكل وتنطلق بسياسة روح الفريق الواحد، فيجد أتباع الطريقة أنهم أفراد أمام جماعات أو كتل فكرية، ويجدون أن نشاط هذه المؤسسات يتغلغل بواسطة الوسائل إلى البيوت والمخادع والمدارس والمساجد، ويهيئ كتلا جديدة في الواقع ضد سلوك الأفراد .

وقد فطن السلف إلى هذه المسألة ولم يقفوا عندها أو حذاءها مكتوفي الأيدي، بل وضعوا قواعد عمل المؤسسات، وقعدوا لها قواعد الحركة في الواقع، ونجحت هذه البادرة في تحويل الطريقة إلى مدرسة تتحدث بلسان المجموعة لا بلسان الفرد الواحد ؛ ولكنها مختلفة تماما عن مؤسسات المدارس الضدية المسيسة.

وكان بدء هذا التحول وخاصة في حضرموت قديما جدا ؛ ولكنه اتسع وأخذ طابع الترتيب والتنسيق مع بدء ظهور مؤسسات التعليم الحديثة، فالمدارس الحكومية في أساسها مؤسسات رسمية وضعت لتدريس التعليم الخدماتي، والمشرف الأساسي لمكونات المؤسسات التعليمية في مرحلتها الجديدة آنذاك هو الاستعمار، وأما المدرسون والإدارات وموظفو العملية التعليمية فما هم إلا عمال في مؤسسة، إذن فالمستثمر الأصلي لهذه المؤسسة هو الاستعمار وليس الشعوب، وإن كانت في وجهة نظر العوام والمغرورين والمخدوعين بالسياسات الغربية أنها مدارس تقدمية ضد التخلف والجهل . والتخلف والجهل لدى الاستعمار هو الإسلام ذاته، ولدى المسلمين المخدوعين كان ما يعتقدونه من

تحجر العلماء وتزمت الآباء وركاكة المناهج الأبوية، فالاستعمار كسب الجولة، والمسلمون خسروا حقيقة الإسلام .

وظهرت منذ تلك المرحلة سياسة المؤسسات التعليمية بديلا عن التعليم الأبوي، سواء كان ضمن الطريقة أم خارجها .

وكما ذكرنا سلفا أن حضرموت كطريقة فطنت خطورة موقف المؤسسات الجديدة، فنقلت حركة الطريقة لتصبح مدرسة تحتضن المؤسسات ؛ ولكن هذه المؤسسات كانت على غير النمط الاستعماري المبرمج، بل كانت نقلة تسمح بشيء من التوازن في معركة الحياة العلمية والعملية، وأول من وضع نظام المؤسسة التعليمية قديما وقبل مراحل الاستعمار بحضرموت هو الإمام المهاجر، ثم الفقيه المقدم ومن تلاه . أما في القرن الماضي فكان رائد هذه الحركة الحبيب علي بن محمد الحبشي، وله فضل السبق بإعطاء الأربطة الأبوية موقع المؤسسات العلمية المناهضة للامتداد الاستعماري في التعليم.

ويليه مباشرة رباط تريم الذي اشترك في بنائه العديد من أبناء الطريقة، ودرس فيه العشرات من رجال مدرسة حضرموت، ويأتي في مقدمتهم رجال كتاب «الباحث المحتاط في تاريخ الرباط»[1]. فليُرجع إليه، وهذه النقلة

---

(١) كتاب احتوى على تاريخ إنشاء رباط تريم والجهة التي قامت بتمويل هذا المشروع الكبير والمدرسين الذين ابتدؤوا التدريس في حلقاته كما أشار أيضا إلى تاريخ التعليم ومواقعه في تلك الفترة .

الفكرية أعطت طريقة حضرموت دفعة منهجية واعية جعلت المدرسة تبرز مباشرة خلال سنوات قلائل لتنتشر في سائر بلاد اليمن وبعض بلاد العالم .

ومن المعلوم أن رجال الطريقة في إندونوسيا وشرق إفريقيا فطنوا أيضا لهذه المرحلة وأسهموا في بناء المنهجية العلمية للطريقة، فأنشؤوا أيضا جملة من المدارس والمعاهد والأربطة الأبوية لتناهض الامتداد الاستعماري .

لقد فتح مابين عام ١٣٠٠هـ إلى عام ١٤٢٠ هـ العديد من الأربطة والمدارس ذات الصبغة الأبوية في ساحة اليمن، وخاصة الشطر الجنوبي كما كان يسمى تحت تأثير مدرسة حضرموت[١].

وتحولت أربطة حضرموت وخاصة سيؤون وتريم وقيدون وغيل باوزير إلى مؤسسات تربوية تعليمية دعوية لمواجهة الامتداد التعليمي المستظل بظل الاستعمار، ولحقها بسنوات عشرات بل مئات من طلاب العلم من خريجي هذه المؤسسات، الذين حافظوا بصلابة وتحد على نمط التعليم الأبوي، وعلى الطريقة (هويةً وأذكاراً وسنداً وإجازةً)، وعلى سمات المدرسة دعوة وتربية وتعليما.

---

(١) أقدم رباط رباط الحبشي بسيؤون، ثم رباط تريم أزهر حضرموت، ثم رباط الغيل ١٣٢١هـ، ورباط قيدون، ورباط عينات، وأما المدارس فمدرسة جمعية الحق ١٣٣٤هـ، ثم مدرسة الكاف، ومدرسة جمعية الأخوة ١٣٥٢هـ، ومدرسة النهضة بسيؤون، والمدارس العيدروسية في قرى حضرموت، ومدارس جمعية الفضائل، وفي الساحل مدرسة الفلاح التي أقامها الشيخ الدباغ، ومدرسة مديحج بالشحر، وتسمى مدرسة «مكارم الأخلاق»، ومدرسة آل شيخان بالمكلا . «أدوار التاريخ» ص٤٢٥ .

ولما عرفت قوى الاستعمار مدى التأثير الاجتماعي الذي اضطلعت به هذه المؤسسات العلمية سعت إلى استخدام عملائها لإضعاف هذا الدور وتحجيمه، واستخدمت كل وسائل النفوذ في سبيل إغلاق هذه المؤسسات، ومن ثم إيقاف الزوايا والتعليم الأبوي بكل نماذجه المؤثرة .

ولم تأت مرحلة الاستهتار مرحلة الشيوعية الإلحادية في اليمن إلا وقد ضعف وتلاشى الدور الفاعل لهذه المؤسسات من حيث استمرار العطاء ؛ ولكن برغم ذلك فقد حافظ تلاميذ هذه المؤسسات على شرف التعليم الأبوي وعلى الطريقة حتى نهاية المرحلة .

ويأتي في مقدمة هذه الطلائع رباط البيضاء، والذي ظلت مؤسسته الأبوية بذرة عطاء في تربة اليمن الخصبة، تتحدى التحولات الاستعمارية والاستهتارية برغم ما تعرض له من الضغوط والإرهاصات حتى مرحلة الصحوة، وكانت الصحوة بمثابة الدافع الجديد للنهوض بمسألة التعليم الأبوي (المدرسة والطريقة)، برغم وجود المؤسسات الجديدة الموضوعة خصيصا لاكتساح المرحلة من وجهة نظر الجانب الآخر بشقيه الكفر والكافر والمدرسة التنويرية الحديثة . ونحن الآن قد شاهدنا آثار هذه المدرسة التي ارتقت حقيقة لتجمع بين شقي المسؤولية :

١- المدرسة كفكر واستراتيجية .

٢- الطريقة كسلوك وأوراد وتعليم .

وتشرق هذه المسألة لتفرض نفسها على أتباع مدرسة حضرموت ليهتموا بإعطاء المدرسة موقعها المتكامل ، وموقع المدرسة هذا: هو توسيع دائرة المؤسسات الحاضنة لكافة قواعد وثوابت ومهمات العمل الدعوي والتربوي والتعليمي وحتى المهني، وأيضا استيعاب كوادر العمل الفكري والتربوي ـ وهلم جرا ـ الذين ينتشرون في أرجاء من العالم يتقولبون من خلال هذه المؤسسات ومشاريعها الفكرية والدعوية، واحتضان كل منهم في بلده وموقعه.

إن النظر الجاد إلى إعطاء مدرسة حضرموت منذ الآن موقعها المناسب من بناء المؤسسات المتعددة سيسهم إلى حد كبير في سلامة بقاء أنشطة هذه المدرسة داخليا رغم أي تغير أو تحول لا قدر الله .

ولا ننسى دور المدرسة الزيدية باليمن وما حققته خلال القرون الطويلة في المحافظة على سماتها الأساسية للتعليم الأبوي حتى مرحلة الاحتواء للمدرسة كحكم ؛ ولكنها بقيت على شكلها الآن كمذهب شعبي وتعليم أبوي في المسجد والزاوية والمكتبة، ويبدو أن فكرة المؤسسة قد برزت أخيرا في المدرسة الزيدية من خلال جهود بعض العلماء المدركين سمات المرحلة وتحولاتها، ويتمثل ذلك في بعض المؤسسات التعليمية الأهلية ذات الصبغة الشعبية ؛ ولكن هذه المؤسسات مهددة بالخطر أكثر من مدرسة حضرموت ؛ لأن المدرسة الزيدية تؤمن بقضية الأخذ بالحكم والسلطة كأصل في إستراتيجية المدرسة، خلافا لما هو في مدرسة حضرموت.

مدرسة حضرموت الأبوية نموذج صالح للاستدلال

إن تركيزنا هنا على مدرسة حضرموت لا يعني فقدان المدارس الأبوية الأخرى في العالم الإسلامي ؛ ولكنا نعتقد أن المراحل المتقلبة ساعدت مدرسة حضرموت على البقاء في حدها الأدنى لتحافظ على الطريقة ذاتها سواء في الداخل أو الخارج .

أما غيرها من المدارس التقليدية فقد هدمت أسبابها كطريقة ذات استقلالية معينة، بل حتى أوقفت غالب مؤسساتها التعليمية كمدرسة الحجاز ومصر والشام وصنعاء وزبيد والمراوعة والتهائم جميعا .

وكان السبب الأول لنجاح استمرار هذه المدرسة أساس الاستراتيجية الفكرية التي رسمها أوائل رجالها، وهذه الاستراتيجة لم تدرس حتى اليوم كظاهرة فكرية هامة حتى من أبناء الطريقة أنفسهم، لأن غالب أتباع هذه الطريقة لا يولون المسألة الفكرية موقعا من الطريق، ولأن شيوخ هذه الطريقة أيضا لا يميلون إلى العقلانية ولا إلى إشغال الاتباع بالتعمق في التعليلات والتحليلات، مستغنين عن ذلك بصب جهود الجميع في معرفة وسائل الطريق

إلى الله، ومستفيدين من انعدام وجود الضد المناوئ سابقا .

واليوم ونحن نرى العشرات بل المئات من أبناء هذه الطريق وأتباع هذه المدرسة وقد جنحوا إلى المدارس الضدية وصاروا جزءا منها ولبنة من لبناتها أمام طريقة أهلهم وآبائهم، مفذلكين هذا الجنوح بأنه محافظة على الإسلام ورفض للأبوية المنحرفة وخروج من دائرة الجاهلية القائلة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [لقمان:٢١] ؛ اليوم نجد أن عودتنا من داخل المدرسة ذاتها لإعادة الترتيب الواعي لمبادئ الطريق ودحض الشبهات التي رسمتها المدارس الضدية مسألة واجبة كل الوجوب، وشرط لازم من شروط المحافظة على شرف الإسلام كله .

فالمنتمي المعاصر للطريق المتوارث إنما يراه أكثر المثقفين وخريجي مدرسة الضدية جاهلا مقيتا أو قبوريا متعصبا، والمثقفون المعاصرون وخاصة ممن ينتسب تاريخاً وسلالةً للمدرسة الأبوية إنما كان سبب جنوحهم إلى الأفكار والرؤى المعاكسة عدم معرفتهم الكاملة لسلامة المنهج الأبوي وعلاقته السندية بأرقى مراتب السلامة في الإسلام، وتحوّلهم بفعل التحولات السياسية والفكرية والاجتماعية إلى مؤسسات المدارس المسيسة التي دأبت منذ تأسيسها على تعتيم الرؤية والعلاقة بين المثقفين والمدارس الأبوية .

ومن وسائل التعتيم التركيز على المتناقضات، ولفت نظر المثقف إلى ما يتحدث به الناس عن الكرامات والمقامات والأحوال والانفعالات والشطح

والجذب، وغيرها من وسائل الحجز المباشر بين المفكر والمثقف وبين مدرسة إسلامية وأبوية .

ومن هنا حدث الانفصام بين الأتباع وبين المدارس التقليدية لمحوها، وزاد الأمر تعقيدا انطواء العلماء والدعاة وسكوتهم لأسباب متنوعة، مما جعل الطريق التقليدية لا تتجاوز الحضرات والأذكار والموالد وشيئا من المجالس الإنشادية، وهذه لا تقنع تلميذ المدرسة الحديثة دينية ولا دنيوية بنجاح دور الآباء والأتباع في المجتمع المعاصر، ولا يجدون غير البديل الجاهز، وهي الفكرة الضدية المعارضة، فيتخبطون فيها ويهلكون عقولهم وقلوبهم داخل أتونها المسيس وهم يعلمون أو لا يعلمون .

إن البرامج التي قامت عليها المدارس الضدية تحتاج منا إلى وقفة جادة وطول نظر، فالإسلام من حيث هو فلا غبار عليه أينما كان ولدى أي جماعة أو فرقة أو مذهب ؛ ولكن الإشكال في الاستراتيجية الفكرية الضابطة لهذه المدارس والمنطلقات والثوابت التي تنبع منها، والغايات التي تهدف إليها . وهذه مسألة بالغة التعقيد إذا تركناها دون تعليل علمي وتفصيل تاريخي .

وغالب المخدوعين بالمؤسسات العلمية الحديثة دينية وغير دينية إنما خدعوا لكونهم لم يتعمقوا في الاستراتيجيات والثوابت، بل نظروا في الشعارات والدعايات والحد الأدنى من الشروط . فالذين خُدعوا في أوطاننا بالشيوعية والإلحاد وخَدَموها من داخل المساجد وفوق المنابر إنما كان مستوى علمهم

النظر إلى شعارات السياسات المكتوبة على اللائحات والجدران ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ [الأحـزاب:٢٣]، وخُدعوا من خلال قدرة عناصر التسييس الذين عرفوا كيف يجيدون تمثيل الأدوار المزدوجة: دور يمثل الخداع للشعوب المسلمة ودور يوالي سياسات الكفر ومشاريع الأنظمة .

وقد تتابع الخداع تلو الخداع منذ المرحلة الغثائية مرحلة سلب القرار الإسلامي وبدء دور التجزئة الإعلامي، وهذه مرحلة يجدر بكافة أتباع المدارس التقليدية دراستها بتمعن والوقوف عندها باهتمام.

وهذه المرحلة ممتزجة التحليل بين الدين والتاريخ والسياسة، وبدراستها تتجدد علاقة الأجيال بالإسلام المتوارث عقائديا وسلوكا وأصولا وفقها، أو ما يسمى بالتعليم الأبوي، والدراسة لهذه المرحلة يجب أن تتخذ المحاور التالية:

١- دراسة متأنية في علامات الساعة .

٢- دراسة متأنية في تاريخ التحولات السياسية .

٣- دراسة متأنية في مناهج الدعوات الشرعية مذهبية وصوفية وسلفية وعلاقتها بمراحل الاستعمار وانتشاره .

وبهذه الدراسات -التي أرجو أن يقيض الله لها من الحريصين على إجلاء الحق وخدمته من يبرزها على ظاهر الواقع الاجتماعي- يكون إجلاء الغشاوة الضاربة على عقول طلبة العلم ومثقفي المراحل الغثائية .

إن الذين يسخرون من تاريخ آبائهم وتاريخ أسلافهم هم أولئك الذين لا يدركون مدى الانخداع الطوعي لانطوائهم تحت مضلات الفتن، والشجاعة العلمية والأدبية إنما تلزمهم وتلزمنا العمل بجد واجتهاد لأجل ترسيخ مبدأ التوسط: (لاإفراط ولا تفريط)، وليس الكلام عنه في المجالس واللقاءات وبناء الذوات على حساب الآخرين .

إننا أمام تحدٍّ قاتل، ولا يجدي مع هذي التحدي أن نغمض أعيننا لنقطع طريق الخطر ونحن لا ندري أو لا نرى ..

فالمندفع إلى أدبيات الأضداد والمتأثر بمقالاتهم يجب عليه أن يغوص أيضا في إجلاء الغموض عن أدبيات مدرسته التي ينتمي إليها وإن كانت معرفته العقلانية المجردة لا تستسيغ ذلك .

ومن هنا نتحدث مع أشباهنا وأمثالنا ممن يعنيهم شأن أدبيات هذه المدرسة أنه يجب النظر في فقه المرحلة، لنبدأ نشاط المؤسسات أمام ضدية المؤسسات الأخرى باتزان ومسؤولية، ومن خلال الاتزان والمسؤولية يمكن أن يصل الجميع إلى قواسم مشتركة تلتقي عناصر الإحباط عليها وتسعى إليها، خروجا عن سياسة التعمية والتجزئة والأنانية الضاربة على أمة الاسلام في كل مكان .

مشكلة المشاكل

انعدام ضوابط المعرفة وفقدان الرغبة في التعرف كلاهما طرفا نقيض، يدمران المنهج المستقيم ويأتيان على ثوابته . وأشد ما يقع فيه أتباع المدارس الإسلامية مثل هذا الانفصام الخطير . ويكون ضابط هذين النقيضين في الأتباع هو غلبة العاطفة وافتقاد القدرة الكافية لدى الشيوخ على تسيير دفة سير العلاقات بين شرائح الحركة .

هذا إذا كان هناك شيوخ بالمعنى المتعارف عليه، وأما عند انعدام الشيوخ فانتقال فجاجة التصرف والاندفاع في اتخاذ القرار والجنوح بسفينة المنهج سيبدو واضحا بين العلتين، وهما انعدام ضوابط المعرفة وفقدان الرغبة في التعرف ؛ لأن قيادة الحركة ذاتها انتقلت إلى موقع الفجاجة.

والأغرار في تجربة المناهج الإسلامية والمدارس العالمية يستلهمون ضوابط الحركة من رغبات ناشئة عن النفوس دون علمٍ بَيِّنٍ بذلك، وتبرز هذه الفجاجة في شكل العلاقات والمواقف، فمثلا نجد في مدرستنا العالمية مدرسة حضرموت أن أتباعها يمثلون نماذج كثيرة من حيثيات فهمهم لمدلول وظيفة هذه المدرسة وأبعادها العلمية والعملية والفكرية، وعلى كثرة هذه النماذج نجد أن طرفي الإفراط والتفريط في هذا الزمام يمثلان الحد الأعلى في النقيضين .

هناك المندفعون عاطفةً وهِمّةً لحركة التغيير وحمل هم الانتشار والانتقال من ركود المدرسة إلى موقعها المؤثر، وهؤلاء على قوة حرصهم وسلامة مقصدهم إلا أن التجاوزات التي يضطرون إليها بفجاجة التجربة تكلفهم وتكلف المدرسة من داخلها ضرائب خطيرة جدا لا يستشعرونها حالة الانطلاق ؛ ولكنها محطِّمة ولا تخدم الوظيفة المشتركة .

والمغامر الذي يشهد مكاسب المغامرة في سوق الحركة ربما استصغر مواقف العقلاء أنفسهم إذا خاطبوه بمنطق الاتزان، فالمكاسب ذاتها تفرض نفسها على المغامر وعلى طوائف المتنفعين والمتحركين، ومثل هذا يصعب ترشيد ما ينطلقون به أو يعتمدون عليه في انطلاقتهم، ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال:٤٢].

ويقابل هولاء أيضا المندفعون عاطفة وهمّة عكسية لإيقاف الحركة كلها، والنظر إليها بمناظير السلبية والفشل، وهولاء قوم أو أفراد انتزعت من فهومهم المركبة مسألة مدرسة حضرموت كدعوة ومنهج وثوابت، وبقي في معلوماتهم ما يشهدونه في واقع المعاصرة من انفعالات وتجاوزات، سواء من أتباع المدرسة ذاتها أو من عموم المتسبين للمدرسة الأبوية بالعرق والنسب المخالفين لمنهج الإسلام كله في المعاملات والأدب .

وهذا الصنف الأخير هم الذين يرفعون عقيرتهم ضد التغني بأمجاد الآباء وذكر مناقبهم ولو كانوا صالحين كما يذكر عنهم، فالتاريخ المكتوب والواقع

الملاحظ يفرز لدى المخضرمين ثقافة وفكرا وعقيدة إشكالات خطيرة عن هذه المدرسة وثوابتها، أو بمعنى أدق سلوك رجالها وتوجهاتهم الفكرية وعاداتهم الاجتماعية، وخاصة بعد انتشار المدرسة التنويرية التي برزت مع المرحلة الغثائية، وهي المدرسة الحاملة لواء النقض لكافة موروثات المدرسة الصوفية وآل البيت في العالم الإسلامي بعمومه .. وهنا تكمن مشكلة المشاكل...!!!

وحل المشكلة الأولى من المشاكل يحتاج إلى وقفة جادة من منسوبي هذه المدرسة، وخاصة من عقلاء المدرسة وبقية شيوخها المعتدلين، ليتفادوا بوقفتهم فجاجة الأغرار وانتقادات الأغيار، وهذا مطلب عزيز في ذاته، وأصعب منه البحث الجاد في ترتيب أوراقه ورصّ أدواته .

وهذا ما يدفع النقيضين من أطراف الحركة إلى التمادي في الاندفاع والسير قدما بالأتباع، فكما يقال: القافلة تسير وعجلة التاريخ لا تعود إلى الوراء ولا يمكن أن تتوقف إلا في يومها .

فالجامدون من معتدلي الرؤية بين النقيضين قد فرغ من شأن الاستفادة منهم في أسلوب الدعوة المتحركة ووسائلها، ولهذا يرى المندفعون في الطريق أن الوقوف عندهم تباطؤ وتعطيل، والانتظار إلى قيامهم وتحركهم عرقلة وتقليل، والخير كل الخير في الحركة لا التوقف، مهما كان الثمن.

وهذه مشكلة أخرى.. إذ الوقوف منا الآن لدى ما نحن بصدده لا يعطل

حركة النقيضين، ولا يحرك جمود المعتدلين ولا يعالج قضية الانفعالية لدى الأضداد أو الأنداد، بل وربما لا يضيف مثقال ذرة فيما تحتاج إليه الآن هذه المدرسة لتبقى في حدها الأدنى، أو لإقناع الرافضين من أهلها لها، ولسير حركتها حاضرا ومستقبلا .

ولكن هذا الوقوف أو الموقف تقرير حالة وتشخيص لها، وهذا ما نملكه داخل مساحة الحروف، ولنا بإذن الله تعالى موقف آخر يسير قدما داخل محاور الواقع كله، ولكنه ليس بارزا كل البروز، لانعدام صفتي النقيضين فيه، فلا اندفاع وتجاوز ولا توقف أو تمايز، بل تحريك للجامد وفق طاقات الحركة، وترشيد للاندفاعات والانـزلاقات بكافة الإمكانيات ووسائل الدعوة ذات الخير والبركة، وأتباع هذا المنطلق قليل جدا ؛ ولكنهم يزدادون ولا ينقصون، فمن اندفع في مجال الحركة على غير ثوابت عاد إلينا، ومن فرّط في الاعتقادات والتقديرات ثم تاب وأدرك عاد الينا، وهذا المحور متحرك على مدى التاريخ تحت قاعدة شرعية (لا إفراط ولا تفريط) .

تجربة أربطة التربية الإسلامية في إعادة الدور الأبوي

حرصا من أربطة التربية الإسلامية على الجمع بين التعليم الأبوي والتعليم الأكاديمي الحديث، ومحاولةً لسد الثغرات التي أحدثتها التحولات الماضية؛ فقد فتحت الأربطة أبوابها لاحتضان كافة طلاب المدرسة الحديثة على أنماط متفاوتة لربطهم بالمدرسة الأبوية المسندة، وذلك بقبول طلبة الكليات الحكومية المتنوعة ضمن إطار الأقسام الداخلية، ليتم توزيع الوقت بين الدراسة الأكاديمية صباحا وبين الدراسة الشرعية مساء، ويعد قسم المناهج لهذا النموذج دروسا علمية تكمل للطالب ما ينقصه من أمر العلم الفرضي الواجب، إضافة إلى توظيف طاقات الشباب في الأنشطة العلمية والندوات ورحلات الدعوة والتدريس في الدورات التعليمية والتربوية، مما جمع لهم بين طرفي التربية والتعليم.

وكذلك تتبنى الأربطة حلقات العلم الشرعي للمرأة المسلمة تحت إشراف دار الزهراء للقرآن والعلوم الشرعية، ولدار الزهراء أيضا مجموعة من المناهج ذات الصلة المباشرة بالمدرسة الأبوية، مما يسهم في إكمال نقصها المعرفي إن كانت تدرس في شيء من المدارس .

كما تؤدي الدورات الصيفية دورا إضافيا خلال العطل والإجازات الفصلية والسنوية، ويعود عائدها المعرفي بلا منازع لصالح الدعوة، ولهذه الدورات أيضا مناهج علمية مكثفة تمكن صاحبها النظر في أخذ مبادئ العلم الفرضي الواجب، وهو العلم الذي يعرِّف له أمر الإسلام والإيمان ثم ما يلزمه من أمر الإحسان والعلم بعلامات الساعة كركن رابع من أركان الدين، ويترقى طلبة العلم وطالباته في هذه الدروس حسب مستويات الأنساق التي يدرسون بها، حيث يوجد لكل نسق مقرر ومنهاج .

وتتركز دروس المقررات والمناهج في عمومها على النحو التالي :

١- القرآن الكريم : تلاوة وتجويدا وتفسيرا ودراسة تحليلية .

٢- الحديث الشريف : متنا، ومصطلحا، وشرحا ودراسة تحليلية.

٣- الأصول والعقيدة دون التعمق في الخلافيات .

٤- الفقه الإسلامي : فقه الفروع عند الشافعية، عبادات، معاملات، مواريث، أنكحة، حدود وجنايات إلخ ..، فقه مقارن في الأنساق العالية.

٥- اللغة العربية : النحو، الصرف تطبيقات نثرية وشعرية، بيان وبديع، منطق في الأنساق العالية .

٦- السيرة النبوية والتراجم دراسة تحليلية .

٧- الثقافة الإسلامية : دراسات إسلامية، بحوث، مستجدات فقه الدعوة.

٨- التطبيقات الميدانية : أنشطة دعوية مخيمات، دورات، رحلات،

محاضرات، ندوات .

٩- فقه المناسبات، قراءة واعية لعلاقة الأمة بمناسباتها على غير إفراط ولا تفريط.

١٠- فقه التحولات، قراءة علمية تحليلية للركن الرابع من أركان الدين.

١١- القراءة المكتبية، وينطوي تحت الأقسام ما يناسبها من المؤلفات والمراجع المقررة بدءا بالمتون الأساسية ونهاية بالأمهات والمسانيد ومرورا بالكتب العلمية والثقافية والمجلات الأدبية والعلمية وغيرها.

١٢- توظيف طاقات الشباب الدارسين خلال السنة للمشاركة في كافة المناسبات الإسلامية والمحلية التي تشرف عليها أربطة التربية الإسلامية، ووضع البحوث والرسائل والدراسات المناسبة للمناقشة والعرض خلال هذه الفعاليات، وإضافة درجاتها لأعمال السنة .

وتُشرف أربطة التربية الإسلامية على مجموعة من المناسبات الهامة ذات الارتباط بالدعوة الإسلامية وآثارها في اليمن والعالم، ومنها :

١- مناسبة دخول الإسلام إلى اليمن : مخيمات علمية ودعوية في مسجد الصحابي الجليل معاذ بن جبل بالجند .

٢- مناسبة ذكرى دخول الإمام العدني العيدروس إلى عدن «أسبوع الامام العدني» .

٣- الحلقة العلمية للإمام الحداد خلال شهر ذي القعدة من كل عام .

٤- الحلقة العلمية في ذكرى دخول الإمام المهاجر إلى حضرموت في القرن الرابع.

٥- مجموعة من الحوليات المرتبطة بالأعلام اليمنية كالشيخ سعيد العمودي بدوعن، وسلطانة الزبيدية بحوطة سلطانة، وعبدالهادي السودي بتعز.

٦- ندوات علمية متخصصة كندوة «التربية والتعليم.. نحو مستقبل أفضل».

٧- نشاطات اجتماعية مختلفة كالمبادرات الدورية من خريجي الأربطة ـ ومنهم الأطباء ـ إلى الأرياف والقرى للدعوة إلى الله مع العلاج وإعطاء الدواء المجّانِيّين.

إضافة إلى المشاركات الإضافية مع شباب الدعوة بحضرموت في المناسبات السنوية والفصلية المعتادة .

ويهتم العديد من منسوبي الدعوة إلى الله في اليمن وحضرموت خلال المرحلة المعاصرة بربط المنهج العلمي الدعوي المحلي بالبلاد العربية والإسلامية، من خلال الرحلات الدعوية وزيارة البلاد الإسلامية ذات الارتباط التاريخي بمدرسة حضرموت، مما أدى إلى زيادة التفاعل العلمي والمعرفي وتحريك طاقات وهمم المنسوبين إلى هذه المدرسة، وإلى بقية مدارس الإسلام الأبوية، كي يستعيدوا نشاطهم التربوي والتعليمي ونشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بين عموم الخلق المتعطشين إلى سلامة الدارين ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١] .

كيف نقرأ عن المدرسة الأبوية ؟

المدرسة الأبوية وسيلة طريق بين عشرات المدارس الحديثة، ومدرسة حضرموت الأبوية تحمل بالنسبة لما نحن نعلمه ونعيشه منهجاً يتناسب في ثوابته الإنسانية مع أعتى المراحل وأشدها ظلمة، ولهذا يمكن لنا أن نقرأ عنها ما يناسب الزمان والمكان .

أما في شأن المعرفة العلمية والثقافة الإسلامية والإنسانية فالمدرسة الأبوية -ومنها مدرسة حضرموت- هي أشبه ما تكون بـ(المِصفاة) أو (الفلتر) الذي ينـزع عن العلوم والمعارف كثافاتها، وعن الإعلاميات المقبوضة رانها ودرنها، فتصل المعرفة إلى باطن القلب وعمق العقل مصحوبة بأسباب الإيمان، والحفظ من تقلبات الأزمان، ومن أثر النفس والدنيا والهوى والشيطان .

وأما ما يقال أو يكتب أو يتناوله الغثائيون عن المدرسة الأبوية وتحجيم عيوبها ومحاكمة عقائد رجالها فمسألة تحتاج إلى تروّ وحسن تدبر، فما كان في محيط الإفراط يجب تصحيحه، وما كان في طرف التفريط يلزمنا إعادة ترتيبه وتوضيحه.

والاعتدال هو شأن الباحثين عن السلامة في كل مدرسة ورؤية ودعوة ذات وسطية في الأمور، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البقرة:١٤٣].

الكلمة الأخيرة

المدرسة الأبوية طريق ومنهج وعلم وعمل وإخلاص وورع ودعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فأيا كان حاملها يعيش فعليه بها مسؤوليات وعليه لها مسؤليات، فأما إن كان في قمة الحياة الاجتماعية فمسؤولياته ترتفع بارتفاع موقعه، وإن كان في غمار الأمة فمسؤولياته تزداد حاجة إلى همته وصدقه وحسن طرحه وتفهمه حالة الأمة، وان كانت امرأة فمعها حيث عاشت مسؤولياتها نحو هذا الطريق، وتزداد على المرأة مسؤوليات التنشئة لجيل المدرسة الأبوية، وهي رائدة النجاح في تهيئة جيل الدعوة ونشر الإسلام إن وعت مسؤوليتها، كما أنها أحبولة الشيطان وكأس الثمالة المدمرة عقل الانسان وهادمة رجولته إن نكصت عن مسؤولياتها واستتبعت دعوات الشيطان ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

إن الشيطان رائد الانحراف وراعيه وإمامه وساعيه، تحدى ربه فكان الطرد والسقوط من عين الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٨-١٦٩] ، وفي مضمار حديثنا عن المدرسة

الأبوية قال أحدهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠]، فقال القرآن مجيبا على مدرسة التحريف لمعاني كتاب الله ومناوئا عن مدرسة الإسلام الأبوية بلسان حال يوسف عليه السلام نيابة عن تلاميذ ومريدي الأبوية الشرعية في العالم كله: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف:٣٨]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].


القرآن
السّنة
الورع
العلم
العمل
الإخلاص
الخوف
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
مدرسة حضرموت

شعار المدرسة

من سمات المرحلة المعاصرة أن يضع رجال المدرسة شعارا رسميا يعبر عن ثوابت الرؤية والمنطلق، ومدرسة حضرموت تضع شعارها الرسمي تحت الثوابت التالية :

١- القلم، ويأتي على رأس الشعار، وفيه إشارة لأول التنـزيل ولأداة العلم الشرعية في هذه الأمة، وإذن إلهي بالمعرفة المكتوبة ونقلها إلى الأجيال.

٢- القرآن والسنة وهما مصدر التشريع وأساس منطلق المدرسة عبر تاريخها الطويل.

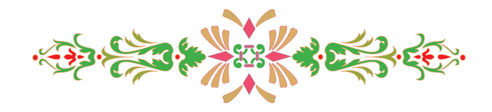
٣- السيف المكسور والعصا، ويتعانقان معا باعتبار دورهما المترابط في المستقبل، فالمرحلة التي كسر فيها الفقيه المقدم سيفه هي أصل الطريق للمدرسة خلال مرحلة التحولات، أما عند ارتقاء الأمة إلى منطقها الشرعي يبدأ مشروع تعانق السيف والعصا، والسيف رمز الجهاد والعصا رمز السلام .

٤- المسبحة محيطة بالسيف والعصا كمظهر يؤكد شمول منهج المدرسة لمسألة الذكر والعبادة، وهي السور المحيط بكافة توجهات المدرسة .

٥- ينبثق من بين تعانق السيف والعصا ودائرة السبحة بالذكر مبادئ الطريق الخمسة.

٦- يبرز وعاء الطريقة والمدرسة محور الآية الكريمة آية التطهير، وهو الوعاء الحافظ لمنهج المدرسة كلها .

٧- اسم مدرسة حضرموت يبرز أمام المرحلة كشارة تحمل فوقها كافة هذه المفاهيم الاعتبارية وتعبر عنها وتحتضنها وتتبناها وترسم بها السلامة في واقع الأمة.



وآخر دعوانا

أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ

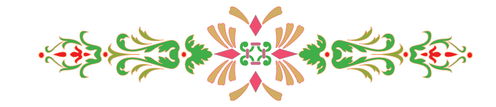
وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

ٱلْعَٰلَمِينَ

تم الفراغ من جمع هذا الكتيب في شهر شعبان

من عام ١٤٢٣هـ بمدينة

جُدّة المحروسة



الفهرس

المطلع القرآني	٥
شاهد الحال	٧
الإهداء	٩
المدخل	١١
ماذا تعني المدرسة الأبوية	١٣
حاجة المجتمع الإسلامي للمدرسة الأبوية	١٦
بقاء واستمرار المدرسة الأبوية مهمة الشعوب	٢٠
لماذا المدرسة الأبوية..؟	٢٥
المستجدات السلبية في طريق المدرسة الأبوية	٢٧
إنقاذ المدرسة الأبوية يعتمد على قراءة علامات الساعة	٣٣
سموم الأضداد ضد مدرسة الآباء والأجداد	٣٨
وقفة مع ثوابت المدرسة الأبوية	٤٢
وسائل التربية في المدرسة الأبوية	٥٠
الآثار الباقية من المدرسة الأبوية	٥٥
أهمية أسانيد المدرسة الأبوية	٦٠
مدرسة حضرموت نموذج للمدرسة الأبوية	٦٦
عالمية مدرسة حضرموت	٧٣

موقع المناقب في المدرسة الأبوية	٧٧
المناقب الأبوية وموقعها من كتاب الله وسنة رسوله	٨٢
المدرسة الأبوية مدرسة عالمية وليست إقليمية	٨٨
مدرسة حضرموت الأبوية بين الدعوة إلى الذات ومرحلة المؤسسات	٩٣
مدرسة حضرموت الأبوية نموذج صالح للاستدلال	٩٩
مشكلة المشاكل	١٠٤
تجربة أربطة التربية الإسلامية في إعادة الدور الأبوي	١٠٨
كيف نقرأ عن المدرسة ؟	١١٢
الكلمة الأخيرة	١١٤